

## كلمة العدد :

### الإبداعات بين دفق الحوافز

#### وحوافز المصداقية

بقلم : محسن الكريفي

لئن تعدّدت الرّسائل الإبداعية وتطوّرت طرق خطاها تبقى قيمتها في ذاتها. في ما تثيره في المتقبّل من لذة ومتعة على حدّ عبارة رولان بارت ... مهما تعدّدت المدارس النقدية ومعايير التقييم فإنّ حضور النصّ لذاته يبقى الأبلغ. هذه الخصوصية كثيرا ما تبقى في واد والتقييم في واد آخر فقد تشوّب هذه الأدبية الفاعلة مقاييس خارجية تأخذ ما تشاء إلى القمم وتهوي بأخرى في حضيض سحيق...

جيد أن تعدّد الحوافز الدّاعمة للتجارب الإبداعية وأن تمدّد يد الإعلاء إليها توازرها وتدفع في عروقها دم الحماسة والإذكاء والحميمية والأجمل أن تتدخل المؤسسات المالية تشدّ إزر الثقافة وتعلي رايات أعراسها الحولية تشجيعا للسّينما والرّواية والشعر وسائر الفنون. وقد تخطّت هذه التجارب مراحل الارتجال لتصبح تدخلاتها وحوافزها واثقة الخطى وللذكر فقط لنا مثال على ذلك

حواضر البنك التونسي لأحسن عمل شعريّ وجوائز "كومار السنويّة للرّواية التونسية وأخيرا انبثقت جائزة الشيخ زايد للإبداعات الفنيّة العربيّة وقد زارت اللجنة المشرفة على الجائزة تونس مؤخرا معرّفة بالجائزة محفّزة المبدعين التونسيين على المشاركة...

نرجو أن تكون هذه الجائزة إطلالة خير على الإبداع العربي وأن تراعي جودة الأعمال المشاركة وأن تنظر إلى أدبيّة الرّسائل الفنيّة والمتعبّة التي تثيرها في المستقبل والقيم الحضاريّة التي تؤصلها في التشعب بعيدا عن الارتجاليّة وخطر المفاضلات العبيّة بين المشرق والمغرب.. بقدر مباركة الحواضر للإبداع واضطلاعها بوظيفة الدّفق الحافز لشريان الحياة فيه فإن هذه الحواضر مدعوّة أن تكون صادقة تتوفّر في لجائها صفات الموضوعيّة والنّزاهة والرّؤية الصّائبة بعيدا عن المجاملات والعواطف الجياشة والمصالح الضيّقة والانتماء الجغرافي إلى قطر دون آخر.

إنّ المجتمع العربي من الماء إلى الماء محتاج أن ينصّع جوانب الإبداع فيه وأن يلتفّ الكلّ حول هذا التّبع الفيّاض لأنّ المجتمع بلا قيس نور ثقافي يبقى على هامش التاريخ . النّظرة الحكيمّة تسعى دوما إلى المواءمة بين أصحاب الإبداع وأصحاب النّقد والتّقييم حتّى تندفّق الرّسائل الفنيّة إمتاعا وموانسة ومصدقية...

## شخصية التونسي خلال القرون الخمسة الأخيرة

دراسة مستخلصة من بحث "شخصية التونسي :

محصول الجغرافيا والتاريخ" -1-

بقلم : الدكتور الضاوي خوالدية

...إن فحص النفس العربية وسير أغوارها المظلمة وتحديد عقدها وأدوائها المزمنة (خوف وذل واستكانة ورضا بالدون ورياء وشعور بالنقص وتقديس الحكام وتشبث غريب بحياة المهانة وعجز تام عن المغامرة ومعرفة الجهول ومسح الهوية ...) قد يكون المرحلة الأساس من مراحل العلاج تبين للشعب أن مكبلاته النفسية والاجتماعية والسياسية ليست قدرا محتوما وأن تفكيكها وتكسيدها وتفجيرها أسهل مما كان يتصور، وتاريخ الشعوب شاهد على ذلك، فيكون التحرر من الآخر ... فالانحراط في ركب الإنسانية الحقة.

إن هذا المنهج الفحصي التفكيكي الذي أقمنا عليه مؤلفاتنا ودراساتنا السابقة قد أغرقتنا نتائجه بأن نستمر في السير في نجده، على وعورته، فكان موضوع هذا البحث الذي لم نقر عنوانه : "شخصية التونسي لأنه في رأينا أدق وأشمل زمانا من عناوين كثيرة طرحناها بداية: "صورة التونسي في التراث التونسي" و"سمات الشخصية التونسية في تراثها"

و"بنية التونسي النفسية"...

إن موضوع دراسة الأمم والشعوب شخصيات وهويات وخصائص قد تناظر فيه قدامى العرب والمسلمين<sup>(1)</sup>. واهتم به الغربيون في عصر قومياتهم الحديث<sup>(2)</sup> وتحشم المصلحون العرب وأحفادهم في القرنين التاسع عشر والعشرين الكتابة والخطابة فيه:

- دفاعاً عن هوية الأمة من عفونة الاحتلال التركي العثماني وآثاره المدمرة ووقاية من خطر الاستعمار الغربي الثقافي الاقتصادي السياسي المتصاعد الداهم<sup>(3)</sup>.

- دفاعاً عن أنظمة الاستقلال القطرية وتشريعاً لحكمها وبتربيعها عن أصولها الحضارية وخلق واقع جديد يكرس التجزئة ويستمرج التبعية للقرب المقيم ويوهم بمرجعيات حضارية أخرى<sup>(4)</sup>.

غير أن المتفحص لما قال المذكورون وأشباههم لا يجد - بعد هزة البلاغة والفصاحة والأسلوب المنمق البادية على جل الكتابات - إلا المدح الرافع إلى الكمال أو الذم المتزل إلى أدنى مراتب النقصان.

إن البحث في موضوع شخصية شعب / فرد جمعي لمن الدراسات الجديدة في المنطقة العربية<sup>(5)</sup> والجدّة في البحوث العلمية تعني الصعوبة والمغامرة واقتحام المجهول إذ المحاولات السابقة معالم في طريق الباحث تساعد بمناهجها ونتائجها على التنقيب والتنقيب وتحدد مدى إسهامه وإضافته في هذا المجال، وعلى ذلك تبقى الريادة مهمة في ذاتها، فيكفي

أصحابها، وإن لم ينجحوا فيما ارتادوه، أنهم اجتهدوا وصبروا وصابروا، وما على اللاحقين إلا أن يواصلوا في نفس النهج بمنهج أكثر حداثة وعلمية تمكنهم من اكتشاف ما لم يكتشفه الرواد.

إن محاولتنا ستقتصر، بعد تطويعها لتكون مقالا، على دراسة شخصية التونسي من ثلاثة أبعاد :

- مشكلات شخصية التونسي (بدءا بالدور العثماني التركي)
- شخصية التونسي المشكّلة
- تعامل المصلحين التونسيين ورجال الحركة التحريرية مع شخصية التونسي.

مشكلات شخصية التونسي (بدءا بالدور العثماني التركي)

الدور العثماني التركي "الإسلامي" : بدأ نجم الترك يسطع بداية من القرن الثالث إذ استقدم المعتصم العباسي آلاف المماليك منهم مستخدما إياهم جندا للخلافة لاهتزاز ثقته في العرب والفرس وازداد عددهم مع الأيام وبدر منهم غلظة وسوء معاملة لغيرهم من الأجناس واستفحل أمرهم حتى استحوذوا على كل شيء بما فيه السلطة الفعلية فكبرهم العرب والفرس كرها شديدا وكان تنكيل الأتراك بالأعراب والعرب وبعض الخلفاء العباسيين(قتل المتوكل والمستعين والمعتز ...) حيث أصبحت الخلافة بأيديهم يبايعون من أرادوا ويخلعون من أرادوا وألفت الكتب في مناقبهم وفضائلهم<sup>(6)</sup>.

مهدنا بهذه النبذة التاريخية لنبين أن علاقة العرب بالأتراك سيئة منذ القرن الثالث للهجرة مقوماتها عداً مستفحلاً وشعور متبادل بالأفضلية الجنسية العرقية والمكتسبة والأهلية بالتالي للقيادة وثمارها لذا ما إن اشتد عود الخلافة العثمانية حتى احتلت كل المنطقة العربية تقريباً وسنت سياسة استبدادية قمعية عنصرية لم يسبق لها مثيل سنلم بجوانب منها في الإيالة التونسية ملمعين إلى آثارها المدمرة في البنية الذهنية والنفسية التونسية.

إن بحث هذا الدور ليس صعباً كسابقه لأنه قريب منا زمنياً متوفر المصادر (7) والمراجع (8) لذا سنرسم ملامحه العامة محيلين من أراد الاستزادة إلى المؤلفات والدراسات التي تناولت المسألة باستفاضة.

الحياة الاجتماعية: كان المجتمع التونسي قبل مجيء الأتراك يقوم على هيكلته مثله مثل كل مجتمعات القرون الوسطى لكن هذه الهيكلية / الدرجية كانت تستمد مقوماتها من الأعراف والتقاليد الاجتماعية والثقافية وكانت نتيجة لذلك هشّة قابلة للاختراق لكن آل عثمان الأتراك دمروها وبنوها من جديد بناءً هرمياً صلباً:

I- الأتراك:

1- الولاة / البايات

2- المماليك مساعدو البايات في الحكم وقادة جيش، هم أخلاط مجلوبون بالشراء من الشراكسة والروم والروس والأكراد ... (9)

3 - متقلدو الخطط العلمية والدينية المهمة كالقضاء والافتاء والإمامة

والتعليم ...

## II - أبناء البلاد (التونسيون):

1- أعيان المحزن أصيلو داخل الإيالة (أغلبهم بدو) عصي غليظة سلطها البايات على التونسيين ساكني الأرياف والصحاري خاصة فممنهم الزمامة وقادة المليشيات العسكرية وبعض الكتاب وبعض القياد الذين كانوا من ألد أعداء التونسيين (10)

2- البلدية (سكان مدينة تونس القدامى / الأفارق ينضاف إليهم في عصور مختلفة وافدون تدفقوا من أقطار عربية وأجنبية) يرون أنفسهم متربعين على هرم "المجتمع" التونسي الأهلي لكن الوافدين من العرب مؤسسي أسر كـ: ابن عاشور والبارودي والثعالبي والرصاص والبكري والدردناوي ومحسن ... افتكوا منهم هذه الميزة فبقوا في الثانية يليهم سكان الإيالة الآخرون الذين ينتون من قبل البلدية بالبرانية أو الآفاقيين الذين يمنع سكانهم بالمدينة ويحرم الزواج منهم وسفر النساء إلى مناطقهم (11).

الحياة الاقتصادية: لقد عرفت تونس عهد البايات العثمانيين (باستثناء نسبي لاثنين منهم: حسين بن علي المتوفى 1740م وحمودة باشا المتوفى 1814م) إنهاكا سياسيا (12) وانحيارا اقتصاديا عاما وأوبئة وصراعات سياسية دامية بين حكامها الأتراك واستيلاء على الأراضي الخصبة وإجحافا في جمع الجباية ازداد أواره مع مطلع القرن التاسع عشر قرن محاولات التحديث القاتلة: بناء القصور والترف والإكثار من العسكر

وإحداث اللزم وجلب ماء زغوان وتضعيف المحبي ...<sup>(13)</sup> والاقتراض الخارجي<sup>(14)</sup> والفساد<sup>(15)</sup> حتى قال أحد المفسدين: "إن دولتنا صارت الآن كحائط مشرف على السقوط"<sup>(16)</sup> وأردف آخر: "إن حال المملكة كحال البقرة إذا حلب ضرعها حتى خرج الدم، فهي الآن يترو ضرعها بالدم وولدها بمضضعة والعطب أقرب إليها من السلامة"<sup>(17)</sup> وعلق إبراهيم الرياحي أحد العلماء التونسيين على هذه الحال: "... مظالم أحرقت قلوب العباد واخلت البلاد ونشرت أنواع الشرور والفساد..."<sup>(18)</sup> ووصل الأمر برجال الباي إلى الاستيلاء على قرى بأكملها.<sup>(19)</sup>

الحياة السياسية: لقد شكل الأتراك العثمانيون في تونس مثلهم مثل غيرهم من المختلين أكثر نظاما سياسيا تركيا عثمانيا يمنع عن التونسيين (أصليي البلاد) المشاركة فيه بإعتبارهم غير مؤهلين لذلك كما قال حمودة باشا بعد أن فر أحمد بن عياد خزندار علي باشا أبي حمودة إلى مصر بكل أموال الدولة وجواهرها.<sup>(20)</sup> "إن تسليم الحكم والسلطة لسكان البلاد لا يعود بخير عليهم ولا على الدولة."<sup>(21)</sup> وباعتبار تونس ومن عليها إرثا/ حبسا تركيا<sup>(22)</sup> واجب سكانها الأصليين دفع الخراج والجزية (سماها الحسينيون الإعانة لكي لا تذكر بأهل الذمة<sup>(23)</sup>) والعشر<sup>(24)</sup> لكن الجفاف والأوبئة المستمرة<sup>(25)</sup> والإجحاف في الأدعاءات المذكورة<sup>(26)</sup> أجبر أبناء البلاد على عدم الاهتمام بالأرض والفلاحة<sup>(27)</sup> فانهارت البلاد انهيارا<sup>(28)</sup> رقت له قلوب الجميع ماعدا



الحسينيين واعوانهم الذين كانوا يقولون: "إن العربان (مفرد عربي) في ثروة وغنى ... وأموالهم مدفونة تحت التراب ... والعربي خذ ماله واقطع رأسه ..." (29) ويفتكون كل ما عند الأهالي باعتباره حقاً لهم وما يبقونه تفضلاً منهم (30) تاركهم "مع صبيانهم تحت أديم السماء للحر والقر (31) حتى أصبحت البلاد "ضعيفة حساً ومعنى" (32) "فانية الشحم واللحم" (33) "مسكينة ذليلة" (34) "لا ظهر فيركب ولا لبن فيحلب" (35) ... وبلغ السكين العظم والسيل الزبي (36) مما دفع سكان البوادي والأرياف إلى التمرد بزعامة علي بن غزاهم فكان البطش: التمثيل بالجثث (37) وتحكيم الأغلال والقيود في الأعناق والأرجل (38) والضرب المبرح (39) ... فترح المساكين إلى تونس العاصمة فأجلاهم الباي وقتل الآلاف ومات الآلاف في الطرقات (40).

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

إن الحياة السياسية في تونس ليست حياة سياسية بالمعنى المتعارف إذ هناك أبناء بلاد محكومون بيد من حديد دورهم دفع المجابي للسلطة لذلك كل تمرد من قبل التونسيين هو نتيجة لإجحاف في المحي إذ التونسي اعتاد أن يكون محكوماً من الأجانب.

**الحياة الثقافية:** ليس المطلوب في هذا المبحث أن ندرس الحياة الثقافية في تونس عهد الأتراك العثمانيين لأن ذلك خارج من ناحية عن هدف الدراسة ومن ناحية أخرى هناك مؤلفات ودراسات أولت الموضوع عناية (41) وإنما غرضنا أن نلم بمتملة العلماء والأسر العلمية التونسية والمذهب المالكي في هرم علماء الإيالة والأسر العلمية عامة: كان العلماء

التونسيون المالكيون قبل الاحتلال التركي يمثلون القدوة والمثل في الميدان العلمي وخططه (إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه وفي غيره والقضاء والإفتاء والتدريس...) لكن ما إن استولى الأتراك ذوو المذهب الحنفي على البلاد حتى فقدوا الأولوية في تولي الخطط العلمية والدينية والإدارية (42) معوضين بعلماء أترك "سليبي" أسر علمية نواتها الأولى آباؤهم أو أجدادهم الذين أسهموا في احتلال تونس، تزعموا المذهب الحنفي وترأسوا العلماء واحتكروا خطط القضاء والإفتاء والإمامة وإدارة بعض المؤسسات العلمية الدينية وليس احتلال هذه الأسر الخطط وغيرها نتيجة لتمييزها العلمي عن الأسر المالكية وإنما نتيجة لعلاقتها المتينة بالبايات مذهباً ومصاهرة (المصاهرة بين حمودة باشا وأسرة البارودي ومحمد باي وأسرة بيرم...) مما مكن هذه الأسر من نفوذ وعطايا... ولعل احتكار العلم وخططه من قبل الحنفيين الذين كانوا أقلية متماسكة (20 عالماً في القرن التاسع عشر) مذهباً ومصاهرة جعل الأسر العلمية المالكية أصيلة البلاد (42 عالماً في القرن التاسع عشر) (43) تعتمد الحرف التقليدية والتجارة مصدراً جديداً لعيشها إضافة إلى الزر المتأتي من العلم كأسرتي النيفر وابن عاشور... وقد حاول أحمد باي، نتيجة للضغط والتحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في القرن التاسع عشر، أن يساوي سنة 1255هـ - 1842) بين علماء المذهبين الحنفي والمالكي في المرتبات (44) والتعيينات الجديدة في جامع الزيتونة (45) لكن دون جدوى (46).

ولم تكشف هذه الأسر العلمية التركية باحتكار الخطط وإنما جعلت العلم وعخططه إرثاً متداولاً بين أفراد الأسرة: البيارمة، الخوجيون ... وقد أدى هذا الميز بين العلماء الحنفيين الأتراك والمالكيين أبناء البلاد إلى صراعات وتحاسد بين الطرفين وبين المالكيين بصفة أخص كالمنافسة بين محمد الريفي<sup>(47)</sup> وحسن الهدة<sup>(48)</sup> وبين إبراهيم أرياحي ومحمد البحري بن عبد الستار<sup>(49)</sup> ونفرة علماء تونس المدينة المتأصلة ممن يبرز بالعاصمة من علماء الآفاق (أصيلي داخل الإيالة)<sup>(50)</sup>

إن الظلم والاستبداد الاجتماعيين والسياسيين والاقتصاديين والثقافيين قد حطما شخصية التونسي وكسرا نفسه كسرا لاحظته رحالة ألماني فقال: "إن الجرائم والمآسي التي تعرض إليها هذا الشعب طيلة تاريخه وخاصة في العهد التركي الحسيني قد خلقت في طباعه آثاراً سيئة من شأنها أن تطمس فيه مشاعر الشرف وتحمده فيه مفاهيم الولاء والإخلاص..."<sup>(51)</sup> ثم أردف: "إن الاستبداد يظل الشعور بالطمأنينة ويؤدي إلى الكسل الفطري الذي يتميز به أهل هذه البلاد" ثم استحضر المراحل الكبرى لتاريخ تونس خائماً بـ: "لا يسعنا عقب هذه الوقفة التأملية إلا أن نتساءل عن العبرة من كل هذه الأحداث وعن السر في ابتلاء هذا القطر بمصائب ورزايا متتالية لنجده في آخر المطاف يزل في هوة الهمجية الداجية ويرسخ فيها فأى لعنة يا ترى حتمت هذا المصير القاسي..."<sup>(52)</sup>

الدور الفرنسي التركي: إن الدور التركي العثماني الذي ألمنا بملاحمه

سابقا ميرزين آثاره على شخصية التونسي قد استفحل فعله في سكان البلاد فالفرنسيون المستعمرون قد احتلوا المثلة الأولى في المجتمع والسلطة والاقتصاد والاستيلاء على الأراضي الخصبة يليهم الأتراك والماليك وأعوانهم الذين بقوا متمسكين ببعض الوظائف لكنهم ازدادوا شراسة تجاه أبناء البلاد عملا بتقاليدهم في الحكم وإرضاء للحماة الفرنسيين (53) ولعل أبرز من صور حالة التونسيين في مطلع القرن العشرين مؤرخ فرنسي شهير مختص في تاريخ المغرب العربي (إفريقيا الشمالية) نذكر بعض ما سجل: "الإيالة التونسية يفترش الفلاحون فيها الأرض ويخربشون أديمها بمحاريث خشبية ولا تتجاوز كنوزهم بعض الخرفان ورغم ذلك يدفعون الاداء الفردي (ضريبة)" (54)

"ويقتاتون غالبا بالخبيزة (الطلائعودة)" "ويسمون من قبل الفرنسيين بـ: بيكو / Bicot احتقارا" ويحرمون من التعليم العصري لأنه يزيدهم حقدا على الفرنسيين" ثم نقل رأي بعض المسؤولين الفرنسيين في التونسيين: "هم لا يهابون إلا القوة من دون اعتبار للقاتون وللعدالة وهم أذلاء أمام الأقوياء وقحون أمام الضعفاء ... إن تحررهم ليس إلا قناعا أما إنسانيتهم ... دعوني أضحك ...! متى وجد أهلي إنساني ..." (55)

### شخصية التونسي المشكّلة:

لقد حاولنا في القسم الأول من هذه الدراسة أن نتفحص تاريخ إفريقية/ تونس تفحصا علميا جديدا بغية فهم سليم لمكونات الإنسان

الإفريقي/ التونسي الثابت في هذه الأرض أو المثبت فيها أو بالأحرى شخصية التونسي هذه الشخصية الغائبة في التاريخ المغيبة في البحوث التاريخية على أنها وجغرافيتها كانتا وقود الأتون لحروب التاريخ الطاحنة وخزان الأموال للإمبراطوريات الغازية ومطامير أغذية للأمم ما وراء البحار وعبدا ذلولين لكل حكم أجنبي قائم. إن السلبية التاريخية المشار إليها قد طمست الفعل التاريخي وشرّعت لعهود ظلماء من القمع والإذلال والمطاردة والاستعباد وهتك الأعراض والفحش الجبائي والميز العنصري عاشها التونسي فحفرت في بنيته النفسية والذهنية أختايد غائرة شكّلت شخصيته محدّدة موقفها من ذاتها ومن الآخر ومن الحكم وفعلها الحضاري.

إن الشخصية نظام سلوكي ونظام ذهني والنظامان متداخلان متكاملان ينشآن بالتدريج نتيجة لعوامل الجغرافيا والزمان والتربية... فيشكلان الشخصية الفردية كما يشكلان السمات الأساسية المشتركة للشخصية الجماعية أو الوطنية أو القومية، والسمات المشتركة التي ترسم ملامح شعب ليست وليدة الحاضر ولن تكون وإنما هي وليدة الماضي أي عشرات القرون السابقة بما فيها من رفاهية أو بؤس أو عدل أو تعسف أو علم أو جهل أو هزات أو استقرار أو خصوبة أرض أو فقرها أو محاب عادية أو مشطّة أو حرّية أو عبودية أو نقاوة جنس أو أخلاط...

إنّ الثنائيات المذكورة هي البانية للشخصية الجماعية فإذا سادت

السلبيات كانت الشخصية في عمومها سلبية، وإذا سادت الإيجابيات كانت الشخصية في عمومها إيجابية، وقد تبين لنا من خلال القسم الأول من البحث أنّ المكونات السلبية لشخصية التونسي طاغية ولعلّ ذلك ما حدا بابن خلدون أصيل تونس ولادة ونشأة وتعلّما وخلفية ثقافية أن يستخلص في تاريخه: "أنّ القهر الباطش والتنقيب عن عورات الناس وتعدد ذنوبهم يؤدي إلى التطبع بالكذب والمكر والخديعة وفساد البصائر والأخلاق" (56) "وأنّ ذلّ المغارم يصحبه خلق المكر والخديعة" (57) إنّ اعتقاد البعض أنّ ما استقرّاه ابن خلدون وعاشه ينطبق على بربر شمال إفريقيا رغم ملاحظتنا السابقة فإنّ رسالة الخليفة عمر إلى عمرو بن العاص المانعة من فتح إفريقية الواصفة أهلها "بالغدر وافتراق الكلمة" (58) تؤكد ما لفت نظر من "تونسهم" التاريخ كمحمد بيوم الخامس الذي عدّد بعض طباع التونسي من قبل: "عدم الانقياد لأخيه التونسي والانقياد للأجنبي والميل المفرط لخواصّة النفس" (59) ومن درسوا "الشعب التونسي" دراسة مستفيضة علمية بغية معرفته معرفة عميقة تمكّن المثقف الأوروبي الشغوف بالعلم من الاطلاع على المجتمعات الشرقية كما تمكّن رجال السياسة في الغرب (فرنسا خاصة) من التخطيط للاستيلاء على تونس ولهب ثرواتها واستغلال أهلها دون حسارة تذكر، من هؤلاء المؤرخين والجغرافيين والرحالة والعلماء المستشرق L. Frank (فجر القرن XIX) الذي عاش طويلا في تونس وربط علاقات مع كل الفئات وفي كل الجهات

( بدو وحضر ) واتصف بالدقة في أحكامه والذي عدّد شخصية التونسي في ثمان خصال : البخل والجشع والحقد والبغض والأنانية<sup>(60)</sup> والادمان على المسكرات (بكل أنواعها) والشذوذ (الجنسي)<sup>(61)</sup> والغش<sup>(62)</sup> والكتمان المفرط على ما يملك وعدم الوفاء بالوعد أما المستشرق: E. pellissier الذي زار تونس بعيد frank ومكث بها مدة مهمة واطلع على أحوالها اطلاعا وافيا فقد لفت انتباهه: ضعف وفقدان حيوية لدى حضر تونس<sup>(63)</sup> وقوة وحيوية لدى بدوها<sup>(64)</sup> وذكاء في البوادي وغباء في المدن<sup>(65)</sup> وعدم إيلاء العفّة أهمية في تونس العاصمة ساردا حكايات غريبة<sup>(66)</sup> وقد طبقت ملاحظات الأمير الرحّالة الألماني (1835) ملاحظات سابقه مرجعا السبب إلى الطغيان والعسف حيث قال: "إنّ الجرائم (المرتبكة في حق الشعب التونسي) قد خلقت في طباعه آثارا سيئة من شأنها أن نظمّس فيه مشاعر الشرف وتحمّد فيه مفاهيم الولاء"<sup>(67)</sup> و"أبطلت الشعور بالطمأنينة وطبعته بكسل فطري" (68).

إنّ الخصال التي أتينا على ذكرها تفقد صاحبها فضائل اجتماعية لا قيام لمجتمع حي قابل للتطور قادر على التحدّي واحتلال موقع في التاريخ الحضارة الإنسانية (دون غلبتها)، من الفضائل التي تكاد تكون مفقودة لدى أغلب التونسيين: عدم قدرة التونسي على التعاون والتكاتف مع أخيه التونسي أي من الصعب أن ينخرط التونسي في عمل جماعي والتاريخ حافل بمحاولات فاشلة:

- العلماء المالكيون يحاولون الدفاع جماعيا عن مصالحهم المهدومة من قبل العلماء الحنفيين (الأثراك) فإذا بعقدتهم ينفرط والصراع بينهم يتأجج والتحاسد والوشايات تستفحل<sup>(69)</sup>.
- ثورة علي بن غداهم: ما إن زعزعت نظام البايات حتى انضم بعض قادتها إلى السلطة وكان الفشل والمذابح<sup>(70)</sup>.
- حركة محمد علي الحامي النقاوية الاجتماعية وموقف الحزب الحر الدستوري منها ومساعدته السلطة الاستعمارية على إجهاضها<sup>(71)</sup>.
- مقاومة الحبيب بورقيبة وصحبه المستميتة عبد العزيز الثعالبي المناضل مؤسس الحزب الدستوري.
- الصراع بين بورقيبة المدعوم من فرنسا وصالح بن يوسف واغتيال الأخير وتسلط أقصى العقوبات على المؤمنين بوجهة نظره.
- وقدرته (التونسي) الفائقة على اتخاذ موقف عدائي كبريائي منه (التونسي / أخيه) ولعلّ السميتين المذكورتين جعلتا التونسي لا يشتهر أو لا يسمح له بالشهرة في تونس مهما بلغ من العلم وغيره (ابن خلدون، ابن عرفة، محمد الأخضر بن حسين، أحمد بن حسين، أبو قاسم الشابي، الطاهر حداد، عبد العزيز الثعالبي...) أما الوافد (غير التونسي) فيساعد على الشهرة بكل قوة: العلماء والصوفية والساسة الكثر. إن التونسي "قنوع" يرضى بالموجود، ينفر من المغامرة، لا يحلم بالمجد والتميز، يعلي صوت "أنا" معتبرا إياها فوق كل اعتبار بما فيه الوطن<sup>(72)</sup> الذي اختزله في مدينته وسمى من خارج المدينة برانيا أو



آفاقاً<sup>(73)</sup> أما موقف التونسي من الآخر (الأجنبي) فيمكن اختزاله في نقاط رغم إشارتنا السابقة إليه، إن الأجنبي الوافد يلقي من التونسيين احتراماً وتبجيلاً ومساعدة ولعل خير مثال: أصحاب الزوايا والمتصوفون الذين لولا أصولهم الأجنبية الحقيقية أو المفتعلة / المزيفة لما اشتهروا وقدسوا في تونس وكثر عدد مريديهم واتسع نفوذهم وسمي بأسمائهم<sup>(74)</sup> والحكام الأجانب الذين لا يجدون إلا الطاعة والخضوع التامين وقد تكون عقدة الأجنبي هذه الناتجة عن إرهاب السلطات الأجنبية واستصغار الذات قد أهرت الرحالة العرب القدامى فمدحوا التونسي الهاش الباش بهم الطبع دون معرفة أن هذه الهاشاشة والبشاشة والطاعة مدخرة للوافد "المخيف" فقط<sup>(75)</sup> أما موقف الوافد الأجنبي من التونسي فالعكس إذ هو يحافظ على أجنبيته ولا يتدمج مهما استقر في تونس<sup>(76)</sup> ويحتقر التونسيين ( "العربي خذ ماله واقطع رأسه" <sup>77</sup> ) "التونسي لا يصلح للحكم"<sup>(78)</sup> "أولاد تونس زقابط لا يصلحون لشيء"<sup>(79)</sup> ومن سمات التونسي الأخرى التقليد فكلما رأى "جديداً" لدى الأجانب وما أكثرهم قلّده مما حدا ببعض الكتاب أن قال: "قد أبدلوا أزياءهم البهيجة بأخرى قبيحة تخلط بين الطراز التركي والطراز الأوروبي"<sup>(80)</sup> وقس على ذلك الأعياد<sup>(81)</sup> لكن هذا التونسي المدني خاصة سليل خليط من الأقوام تميز عن سكان المغرب والمشرق العربيين بصفتين الأولى أن له قدرة عجيبة على نطق اللغات الغريبة واللهجات العربية نطقاً يجعل السامع لا يفرق بينه وبين أهل هذه

اللغات واللهجات والسبب، إضافة إلى ما قيل، أن ليس للتونسي لكنه خاصة به عكس شعوب العالم أجمع كأنّ جهازه التصويقي من طراز وحده وأنّ لون التونسي أبيض بياضا أوروبيا (82).

أمّا موقف التونسي من حكمائه الأجانب عبر التاريخ فغزير المادة لكن سنحاول أن نكتفي بذكر الأهم المبرز لهذا الموقف، إن كان مفهوم الوطن مصطلحا سياسيا حديثا فإنّ الأرض المحدّدة قديما التي نبت فيها شعب معين وعاش عليها أحقابا وانتظم تحت سلطة منبثقة عنه وأسس ثقافة... لترادف لفظة الوطن وتستوجب الدفاع عنها والحفاظة عليها دفاع الإنسان عن ذاته والحفاظة عليها لأنّ "الأنا" بدون "أرضي" غير موجودة "وأرضي" بدون "أنا" أنا وإياها ملك للغير ولعلّ استقراء تاريخ إفريقية إستقراء علميا ليؤكد أنّ الإفريقيين حين دخلوا التاريخ وجدوا أجانب يحكمونهم ويتعسفون عليهم ويجبون منهم ويخندونهم ويستعبدونهم ويستغلون أرضهم فاستكانوا فترات طويلة وتمردوا فترات أخرى لا لأنّ الاجنبي الحاكم احتلّ أرضهم لأنّ الانتماء إلى الأرض قد انتفى منهم بفعل الزمن وإنّما لأنّ هذا الاجنبي الغازي امتصّ دماءهم وجوعهم وشردّهم وطاردهم وقتلهم (من قرطاج إلى فرنسا مع استثناءات قليلة). إنّ تأصل الكراهية بين أنظمة سياسية أجنبية مضطهدة (بكرس الهاء) ورعية مضطهدة (بفتح الهاء) قد سنّ في تاريخ تونس الطويل نمطين من التعامل: تعامل السلطة الأجنبية مع أبناء البلاد وتعامل أبناء البلاد مع السلطة الأجنبية:

- تعامل السلطة الأجنبية مع أبناء البلاد: يقوم هذا التعامل على بثّ الرية لدى التونسي تجاه أخيه التونسي وإثارة النزعات والفرقة وتطميع صغار النفوس بعطايا ومناصب بغية التثيت والشرذمة المساعدين على إحكام الضبط والسيطرة كما يقوم على جعل العسف والقهر والميز العنصري قاعدة ثابتة يترى عليها الأجداد والآباء والأحفاد فينشأون خائعين خاضعين فاقدون روح المقاومة يائسين مما هو أفضل باذلين أكثر مما يستطيعون في سبيل خدمة هذا الحاكم المتجبر وأعوانه (أمثلة عديدة وردت في القسم الأول) الذي إذا حان رحيله مجبرا أو غير مجبر حمل معه كل شيء بما فيه رفات أجداده! (المعز لدين الله الفاطمي نموذجاً)

- تعامل أبناء البلاد مع السلطة الأجنبية : لقد رأينا أن التونسيين لا يقاومون الأجنبي مقاومة جماعية وإن قاوم بعضهم أحيانا فالدافع لا يكون مصلحة الأرض / الوطن وإنما مصلحة القبيلة أو العمارة أو الفخذ ... لكنّ لجلّ التونسيين موقفا يكاد يكون موحدًا، على سلبته، من السلطات الحاكمة يتمثل في قناعتهم أنّ كلّ حاكم فاسد ظالم وأنّ التدخل في الشؤون السياسية لا تحمد عواقبه وأنّ نقد هذا الحاكم علنا يجلب النكبات<sup>(83)</sup> لكن لا ينفي هذا محاولة استدرار عطف هذا الحاكم والتقرب منه بغية الفوز بربح سريع أو الإيقاع بقريب.

## في رحيل الأديب العربي الكبير

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

(1915-2006)

بقلم : رشيد الدوّادي

(1)

برحيل العالم الموسوعي الكبير الأديب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي يوم 8 مارس 2006م، تكون الأمة العربية والحركة الأدبية والفكرية فيها فقدت آخر الأدباء المنقبين من الزمن الجميل، الذين أعطوا للأمة العطاءات الوفيرة، ونقبوا عن جئور أفكارها وعن صفحات مجدها التليد.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فالراحل الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي حير معاصريه بكثرة مؤلفاته التي بلغت 500 كتاب، وهو لم يترك من مجالات الإبداع باباً إلا وطرقه، لذلك اعتبره البعض — (جاحظ العصر)، ولقبه آخرون بـ (السيوطي الثاني)، وهو بدون منازع مثل رحلة طويلة مع الجهد، والمثابرة، والقلم، وأنتجت تلك الرحلة الشائقة مجداً جديداً للأمة العربية ولمصر بالخصوص.

(2)

والدكتور خفاجي الذي ودعناه في السنة الماضية شغل (عميدا لكلية اللغة العربية بالأزهر سابقا) ، وهو الخبير بـ (مجمع اللغة العربية)

بالقاهرة، ورئيس (رابطة الأدب الحديث) بها، وقد شكل إنتماء فريداً، إلى خصائص العقل، ورحل في الماضي، وتزود من حقول معارفه، وأسهم بالتالي في مدرسة (أبو للو) في الأدب والشعر والنقد، حيث الإهتمام بالأصالة والموهبة وحب التراث وتذوقه.

ويكفيه فخراً أن له 16 ديواناً شعرياً، وأضاف للمكتبة العربية أكثر من مائة كتاب محقق، ومائة كتاب ضمن سلسلة (موسوعة الأدب العربي)، وفي التاريخ وضع أكثر من 30 كتاباً أبرزها كتاب (الأزهر في ألف عام) الذي ترجم إلى الإنجليزية والهندية، كما ألف أكثر من مائة كتاب في الدراسات الإسلامية منها (سيرة رسول الله) في 4 أجزاء، و(تفسير القرآن الكريم) في 13 جزءاً.

لهذا كله قال عنه الدكتور أحمد زكي أبو شادي: "إنه ظاهرة فذة في تاريخ الثقافة العربية" ووصف أخفاجي نفسه قائلاً: "أنا عربي الأرومة والثقافة وأعتر بكل ما هو عربي!..."

### (3)

وفي ذكرياته مع الحياة ... والعقاد... وطه حسين.. ومحمد الطاهر بن عاشور ..! يقول:

\* "بداية مشواري كان حين التحقت بمعهد "الزقازيق" الديني عام 1927، وكان هناك امتحان شديد في القرآن الكريم، وكنت أتوجس خيفة من الرسوب، ولكنني عندما اطلعت على كشوف المتجولين أدركتني الطمأنينة.. طبعاً، لأنني كنت قد حفظت القرآن الكريم وسّتي

## 11 عاما بالضبط . " (1)

\* وعن العقاد وكيف ألتقي به لأول مرة قال: "دعاني العقاد مع صديقي الأديب السعودي الكبير -عطار- لحضور (ندوة صباح الجمعة) التي يقيمها في بيته في أحد الأسابيع من عام 1954، فذهبنا إلى (دار العقاد)، ودخلنا قاعة الضيوف حيث جلسنا هناك قليلا، وشربنا القهوة، وحضر لفيف من الأدباء والصحفيين وطلبة الجامعات.. وبعد قليل دخل العقاد بمامته الضخمة الجليلة.. وحيانا وطلب أحد أساتذة الجامعة الكبار من الأستاذ العقاد أن يحاضر في كلية ما، فردّ العقاد بالشكر والاعتذار لظروفه الخاصة. فردّ الأستاذ: إن شباب الكلية يعبدونك.. وهنا هاج وماج الأستاذ العطار وقال: (إنّ العبادة لله وحده، وإنّ العقاد بشر، وأنه لا يصح أن يوصف بهذا اللفظ فهو أقرب إلى المحماء منه إلى المديح..)، ونظرت في وجه العقاد لأرى أمتعض هو أم غير أمتعض؟ .. وهل هو غاضب من العطار أم لا ؟.. فوجدت العقاد بسماحة نفسه ورحابة صدره يحاول أن يهدئ من ثورة العطار دون أن يبدو على وجهه التأثير من مهاجمة العطار للأستاذ الجامعي، ثم دار الحديث فيما يتصل بالأدب والفكر. " (2)

\* وحكايته عن أول لقاء مع الدكتور طه حسين قصص علينا حكاية طريفة، فطه حسين كان يعتزم تحقيق ونشر كتاب: "معجم تهذيب الأزهرى" في نطاق نشاط (الجامعة العربية)، وصديقه السعودي أحمد عبد الغفار عطار مشغولا هو الآخر، بإخراج هذا الكتاب ونشره، وألح

على الخفاجي أن يساعده في ذلك، وقبل أن يبدأ العمل أثر العطار أن يبعث ببرقية إلى طه حسين باسم الخفاجي بدون أن يعلمه، وأناى اشتغل في الكتاب .. ويقول خفاجي: إني غضبت من هذا الأمر، "ولكنني فوجئت في اليوم التالي برسالة من د. طه حسين يحدّد لي ميعادا الساعة العاشرة من صباح الغد في مكتبه بالجامعة العربية... وذهبت لمقابلته، فرحب بي.. وكلفني على الفور بأن أكون ضمن اللجنة التي شكلتها (الجامعة) لتحقيق الكتاب.. وأسقط ما في يدي، فلم أستطع رفض طلب د. طه حسين... وطبعاً خرج الكتاب إلى النور عام 1958 عن طريق (الجامعة)، وكان نصيبي تحقيق جزء منه.. (3)

\* ومن حكاياته مع الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور يشير في كتابه (الأدب العربي) فيقول: محمد الطاهر بن عاشور عالم ديني كبير، وكاتب لغوي، وأنه تعرف عليه عام 1935 عندما زار القاهرة، حيث اجتمع به في رحاب الأزهر، و(جمعية الشبان المسلمين)، و(جمعية الهداية الإسلامية)، وأشار في كتابه أيضاً إلى أن "الإمام الطاهر كان إماماً في الدين، ومفكراً إسلامياً كبيراً، يتتبع آثار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، كما كان أديباً كبيراً ترك وراءه آثاراً خالدة في الأدب والنقد، وتعد من أروع ما تركه لنا رواد هذا الجيل". (4)

#### (4)

وعاصر الدكتور خفاجي صفوة من العلماء والأدباء والسياسيين الأجلاء كمحمد فريد، وسعد زغلول، والمنفلوطي، والرافعي، وأحمد

أمين، وسيد قطب، وحسن البناء، ومحمد فريد أبو حديد، وصالح جودت، وهو صديق وفي لتوفيق الحكيم، وللكاتب الكبير نجيب محفوظ، ولشيخ الأزهر الأسبق محمد الحضر حسين (5)

### (5)

وفي حوارات الأديب خفاجي يؤكد على أن تتسع المساحة لأصوات النقد في أكثر قضايا الشعر والأدب، وأن يعود إلى الأمة العربية تواصلها القديم وبالخصوص في ألوان التواصل الأدبي، ولذلك تراه يؤكد على رواج الكتاب، ويدعو إلى المزيد من مظاهر التشجيع، ويوصي باللغة العربية خيراً، ويرى في التعريب باباً واسعاً في اللغة.. وفي مداخلته في (رابطة الأدب الحديث) يعني بالنقد والابتكارات وبالموثرات والفلسفات التي تثري اللغة العربية، وتقوي تلاحم الفكرة وتأصيلها، وتنمي بلاغة الأسلوب وتكامل الصورة الأدبية والشعرية على الوجه الخصوص.

### (6)

والخفاجي الكاتب والمؤلف: هو ظاهرة فكرية متميزة بحق وهو امتداد رائع لفكر شيوخ الأزهر الخالدين أمثال محمد عبده، ومصطفى عبد الرازق، وعمود شلتوت وأضرابهم.

وقصته مع (الأزهر) قصة طويلة، وألف عنه كتابه المعروف: (الأزهر.. في ألف عام) الذي ترجم إلى الإنجليزية والهندية.

ومثل (جامعة الأزهر) في مؤتمرات دولية عديدة أذكر منها: (المهرجان



الألفي لابن زيدون في الرباط) عام 1975، و(مؤتمر الأدب العربي) في (مباد) بالهند سنة 1981، والمهرجان الثقافي والأدبي في الخرطوم عام 1975، و(ذكرى الإمام محمد الطاهر بن عاشور) بتونس سنة 1984م (6)

### (7)

وكتابات هذا العالم الجليل في الشؤون الدينية غزيرة جدا منذ عام 1930م، حيث كتب عن الحضارة الإسلامية، وعن حقوق الإنسان في الإسلام، وعن التاريخ الإسلامي وأبعاده، وبلغ ما نشره في مجال الدراسات الإسلامية أكثر من عشرة آلاف مقالة أذيع بعضها في إذاعات مصر، و(صوت العرب) وإذاعات عربية أخرى كالكويت والأردن والسعودية.

<http://Archive.sakhrat.com>

### (8)

وفي مجال تقييم وظيفة النقد الأدبي يرى الدكتور خفاجي: أن وظيفة النقد الأدبي تتمثل في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية لذلك دعا إلى الأخذ بالثقافة والبصيرة النفاذة في العملية النقدية، وآزر جماعة من المحددين في أدبنا المعاصر ومن أوائلهم: أبو شادي ومطران، وشكري، ومندور، وعبد العزيز وشرف (6).

وأعجب الخفاجي بالسحري يراه روحا متوقدة، ويراه ناقدا ناضحا وإنسانا حيا، وأثنى أكثر من مرة على أحمد زكي أبو شادي في تقديمه لديوان: (أزهار الذكرى) للسحري حيث قال عنه: "السحري

شاعر مفكر، وذو غاية رفيعة في شعره." (7)

## (9)

ومواقف الخفاجي الوطنية كثيرة:

\* رأيناه يقف مواقف البطولة إثر تصريحات (صمويل هور) وزير خارجية إنجلترا في 9 نوفمبر 1935 حينما أعلن أن بريطانيا لن تقبل المفاوضة مع مصر لإنهاء الاحتلال، وأنها لا تودّ الرجوع إلى دستور 1923م.. شاهدناه في هذه الفترة يقود مواكب الطلبة والشباب في (الزقازيق) مع زميلة محمد متولي الشعراوي، وفي ثورة الشباب المصري سنة 1935 قاد الخفاجي المظاهرات واعتقلته الشرطة مرات عديدة، وفي عام 1946 تزعم طلاب أسبوط، واعتقلته الشرطة وسقط في تلك المظاهرات التي قادها الكثير من الشهداء.

وفي معارك بلدان الغرب العربي مع الإستعمار الفرنسي، تزعم الخفاجي حركة المطالبة بحرية هذه الشعوب، وقاد مظاهرات الأزهر بين في (الزقازيق) أعوام: (1932 و 1934) وفي الخمسينات بالقاهرة وهي تنادي بالحرية لليبيا وتونس والجزائر ومراكش.

وصلة الخفاجي بقيادة الكفاح التونسي كانت قوية جدا، فقد تعرف بالقاهرة على الحبيب بورقيبة وعلى علي البلهوان وصالح بن يوسف، وعلى الحبيب ثامر، ثم فيما بعد على الأستاذ أحمد المستيري حينما كان سفيرا لتونس بالقاهرة.

والخفاجي كما روى لي -ومنذ دراسته بالأزهر كان ملما بتيارات

الفكر في المغرب العربي، ومطلعاً على نشاطات شيوع الزيتونة، لذلك لم يتوقف عن البحث في جذور التونسيين والمغاربة، وسعى في الحفر عن السياقات الفكرية، التي تقوده إلى الطريق الصائبة، وإلى معرفة الأدب والفكر التونسي القديم والمعاصر، ولذلك رأيناه يعنى بالعديد من الشخصيات الأدبية في تونس فقدمها في برنامج (مع النقاد) الذي أشرف عليه الناقد (عادل النادي) في الإذاعة المصرية وقد شاركته في بعض هذه الحوارات. في الثمانينات بالقاهرة صحبة الدكتور مختار الوكيل.

ومن حبه للتونسيين، كتب عن الكثيرين من أدبائهم، وأفرد لهم حيزاً لا بأس به في الجزء الرابع من موسوعته: "الأدب العربي". وتحدث في هذا الجزء عن الإمام محمد الطاهر بن عاشور، وعن محمد مزالي والبشير بن سلامة وابن خلدون ومحمد العروسي المطوي ورشيد الذواودي، ومحمد الخضر وحسين والحبيب الجناحي ونور الدين صمود وآخرون..

كما خصّني بدراسات عديدة نشر بعضها في جريدة (الصباح) و(الفكر) التونسيين، وفي دوريات عربية أخرى: كـ (الإهرام) و(المساء) القاهريتين، وفي (مجلة الحضارة)، المصرية التي تصدرها (رابطة الأدب الحديث بالقاهرة) وفي مجلات سعودية عريقة مثل (الخفجي) وغيرها. ويروي الدكتور خفاجي قصة عن إعجابه بالشابي في حوار له فيقول: "وكنّت أول من أسهم في التعريف بالشاعر أبي القاسم الشابي في مصر، الذي كان يرسل قصائده إلى زكي أبي شادي لينشرها بمجلة (أبو اللو)، وبما

أن خطّه (المغربي) كان يصعب قراءته، فإني طلبت من أحد أصدقائي من المغرب ليقوم بإعادة كتابة قصائد الشابي وتسليمها للمحلة وكانت أولى هذه القصائد: (صلوات في هيكل الحب)، و(تونس الجميلة).

وقد ألّفت مع الأستاذين: الدكتور عبد العزيز شرف والأديب التونسي رشيد النوادي كتابا عن: (الشابي ومدرسة أبو اللو) وذلك بمناسبة الإحتفال بالذكرى الخمسين لوفاة الشابي... " (8)

## (11)

وأشهد أني عايشة الرجل عن كُتب، واختلطت به كثيرا، وترافقنا في ندوات ومؤتمرات عربية عديدة..

وفي كل هذا إكتشفت: أن الخفاجي يهرك دائما بألمعيته وذكائه وأصالته، وهو الخدم للجميع، والمفكر التقدير المتميز بالطموح العلمي، وبالزهد في مطالب الحياة!..

## الهوامش

- 1/ أنظر: (مواكب الحياة): دحفاجي ط مصر 1984 ج 2 ص 689
- 2/ المرجع نفسه ص 689
- 3/ المرجع نفسه ص 691
- 4/ كتاب (الادب العربي): محمد عبد النعم خفاجي ط مصر 1984 ج 4 ص 265 وما بعدها، وكتاب: (الخفاجي... أدبا وثقافة): رشيد النوادي ط مصر 1995 ص 28 وما بعدها.
- 5/ (الخفاجي... أدبا وثقافة): رشيد النوادي ص 29 وما بعدها.
- 6/ أنظر: (أدباء من مصر): رشيد النوادي (دار مدبولي) ط مصر 1995 ص 50 وما بعدها.
- 7/ أنظر (مدارس النقد الأدبي الحديث): للدكتور محمد عبد النعم خفاجي (الدار المصرية اللبنانية) ط القاهرة 1995 ص 258.
- 8/ صحيفة (العمل) التونسي بتاريخ 21 مارس 1984 (حوار أجراه الصحفي الشافلي باشا)، و(الخفاجي... أدبا وثقافة): رشيد النوادي ص 25 وما بعدها.

## أدب الرحلات

(3)

بقلم : محمد بن الأصفر الغامي

\* الشيخ الخضر حسين يرحل إلى الجزائر.

إن الرحلة في القرن التاسع عشر كما سبق أن تعرضنا لها لم تكن تتعامل مع العلوم الصحيحة بدون احتراز أو حتى ادنى تردد ... إلا أن الشيخ الخضر حسين (1873م-1958م) الزيتوني التكويني، التونسي الجزائري الأصل والمهاجر إلى الشام (سوريا) ثم إلى مصر حيث استقر به المقام، وانتمى إلى زمرة علماء الأزهر حتى صار رئيسهم، أي "شيخ الأزهر" سنة 1952 م وقد قام برحلة إلى الجزائر المحكومة عصرئذ من طرف فرنسا، وكان ذلك سنة 1903 و 1904 م وقد كتب عن رحلته في مجلة "السعادة العظمى" التي كان ينشرها في تونس، تحت عنوان "الرحلة الجزائرية".

وإن أهم ما كتبه الشيخ إثر هذه الرحلة، خير اعتماد السلط هناك على "الحساب" لتحديد حلول الشهور القمرية بما فيها شهري رمضان وشوال... وقد استنكر ذلك لأنه متمسك بالطريقة التشريعية الإسلامية القائمة على قول الله تعالى : "صوموا لرؤيته".

وهو بذلك لئن خاض في موضوع يتصل بالنظم الإسلامية فإنه قد وضع الأصبع على إشكالية من إشكاليات أدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي، وهي التوفيق بين مقتضيات الشرع الإسلامي من جهة، وبين مقتضيات الحداثة من جهة أخرى لكنه قد انتصر للحل الشرعي

الديني نظرا لوجود النص القرآني محل الذي من شأنه أن يزيل الخلاف والملاحظ أن مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي مازال يعتبر هذا الموضوع من أهم محاور إهتماماته إلى اليوم.

ثانيا، 2- الخيال "الايكسوتيكي: لرحالة عادي، على الدوعاجي في الضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط

كنا رأينا أنّ ولادة فن "الايكسوتيكي" Exotique في مصر، على يدي دينون Denon وهو الفنّ الملتهم من مرجعية أساسية وهي نص "ألف ليلة وليلة" فالقاص والرحالة التونسي علي الدوعاجي (1909 م - 1949) قد قام برحلة بحرية على متن باخرة كانت قادته إلى مدن سردانية ونابولي (إيطاليا) ونيس (فرنسا) وآثينا (اليونان) واسطنبول (تركيا).

وقد دوّن رحلته في شكل قصصي هزلي تحت عنوان "رحلة بين حانات البحر الأبيض المتوسط" وقد تعتمد تقديمت نفسه للنساء كشخصية ايكسوتيكية، ففي المرة الأولى قدم نفسه لفتاة أعجبتة على أنه شيخ من كبار مشائخ الصحراء قد أسرته قبائل التوارق بعد موقعة هائلة أبلى فيها البلاء الحسن وقتل من محاربيه ما يتيف عهد السبعة فرسان أشداء وقد خلصه أبوه منهم بعد دفع الفدية وهي 20 جملا و 4 أحمره وفرسان إثنان وثلاثة بنادق.

وفي المرة الثانية قدم نفسه لإمرأة أخرى على أنه تاجر تونسي قدم إلى اسطنبول لشراء الجلود والجمرة. فهذه الصورتان اللتان، رسمها علي الدوعاجي تذكرنا بطلبات صديقات الرحالة ربا REA البريطاني الذي كان زار تونس الجزائر سنة 1835، واللاتي كن لحن عليه أن يجلب لهن أشياء

عاجية، وأخرى فضية، إلخ... من أنواع "المشط" والحرير والطنافس... إلخ..

وهكذا وإن الرحلة عند البعض الآخر لم تكن مواصلة لخط الطهطاوي في الدعوة إلى التقدم وإنما هي بكاء على الأطلال عند علي الورداني وسعيد أبي بكر، اللذين زارا الأندلس، أو عند عثمان الكعاك الذي زار صقلية، أو غيره ممن شجبوا عدم احترام النظم الإسلامية كما هي عند الشيخ الخضر حسين، أو هي نوع من الترفية عن النفس، كما عند الدوعاجي (جولة عبر مدن البحر الأبيض المتوسط).

هذا وأنه هناك نصوص رحلة تذكرنا بنص الطهطاوي تخلص الإبريز، مثل رحلة محمد بن الخوجة، سابق الذكر الذي سلك في رحلته سلوك الإبريز في مسالك باريز" نفس الاتجاه وهو يصف دور العلم والصنائع مثل "دار الرصد" و"ديوان العلوم الأدبية والسياسية" و"الأكاديمية الفرنسية" فلا عجب في ذلك، وعنوان رحلته أو كتابه مشتق وبقدر جلي من عنوان رحلة الطهطاوي.

هل فقد أدب الرحلات رونقه حتى قل الاقبال عليه كتابه وقراءه ؟

إذا كان علي الدوعاجي قد سافر على متن "الباحرة" وهو سفر قد يبقى معه احتمال لتكون الرحلة مشوقة ومقترنة ببروز الطرائف وفي قد تلاقي البعض مما يتعرض له الرحالة من ضغوطات في مسيرته كما كنا تعرضنا لذلك في رحلة السلطان قايتباي ، مثلاً، فإن سفرة عثمان الكعاك إلى بلرمو بصقلية، قد فقدت الكثير من رونق الرحلات المقترنة بانتاج نصوص أدب الرحلات " إذ هو قد وصلها بالطائرة، على طريقة سواح القرن الواحد والعشرين الذين يوجهون في رحلاتهم ولا يتوجهون بأنفسهم

كما كان الرحالة في السابق.

يقول الأستاذ جليبرتو فريري G. Freyre، أن وسائل الانتقال في عصرنا جعلت الاسفار سريعة، والبلدان تظهر أقل تفرداً أو غموضاً، وأقل اختلافاً فيما بينها عما كانت عليه منذ نصف قرن (بحسب نصف قرن قبل سنة 1969 على أقل تقدير) ... ذلك أن العالم يمر بإجراءات توحيد كبيرة من ناحية الملبس والبناء وطريقة الأكل والشرب..

وهذا النوع الذي صوّره الكاتب البرازيلي فريري لئن كان يضيق من هامش نشاط أدب الرحلات، إلا إنه وحسب نفس الكاتب، فإن بعض الاختلافات ما تزال موجودة بين الشعوب والأمم.. وهذا في رأينا ما يقي معه البعض من الأمل في خصوص إمكانية تواصل حياة أدب الرحلات... فلقد ذكر بعض العادات الاستوائية (البرازيل) ... مثل عادة النوم في الشباك المعلقة، واستخدام قليل من الطين لحفظ الماء بارداً، وهذه عادة ما تزال نراها في البلاد العربية مثل تونس، مصر (هذه العادة هي سبب إطلاق اسم المشربية على موعد من النوافذ في مصر) ومن عادات البرازيل غير المنقرضة، يذكر الكاتب فريري أكلة تقوم على طبخ الأسماك في لبن جوز الهند ... إلخ..

إذ أدب الرحلات لكفيل، حقاً بإقامة حوار الحضارات والثقافات المفقود إلى حد الآن، وذلك بإقامة محاولات جدية ونزيهة، وغير عنصرية ولا متكررة لفهم عادات الشعوب والأمم والأقوام والنظر لها كحل ثقافي أصيل وغير تافه قد توصل إليه الانسان في مكان ما من المجال المكاني الإنساني وفي زمان ما من المجال الزماني الإنساني...

ويبدو أن الأمور قد سارت في هذا الاتجاه مع الجيلين السابقين، جيل



الاستقلالات العربية، والجيل المخضرم، فهم قد غيروا وجهات رحلتهم وقد حاولوا الوصول إلى أقاصي الأرض وذلك بحثاً عن الجديد لمعرفته ولتفهمه ولتعميق التجربة الإنسانية.

#### رابعاً: أدب الرحلات العربي لجيلي: الاستقلالات العربية والمخضرمين

لئن حافظ أدب رحلات جيل الاستقلالات العربية (جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية)، والجيل الذي تلاه وهو الجيل المخضرم لئن حافظ أدب الرحلات، على خاصياته الأولى، ولسان حاله يقول أنه بتحقيق الاستقلالات قد انتهت مهمة هذا الأدب الداعية إلى التقدم وإلى الأخذ بأسبابه، وأنه من حقّه الاستراحة والاسترخاء بعد إنجاز تلك المهمات فاستعاد بذلك طابعه، السياحي، ونزعتَه إلى وصف "العجيب والغريب" ... مثله مثل رهط من الكتاب الملتزمين "الفن ما أن سقط "حائط برلين" ووقع تفكيك الإتحاد السوفياتي، حتى انحطوا في تيار "استهلاك" الأدب رافعين شعار "الفن للفن" متكرّرين لشعارهم القديم "الفن للجماهير"

#### **رابعاً، 1) علاقة جديدة ومتوترة بين الشرق والغرب ؟**

لقد صار أدب رحلات العرب لجيلي الاستقلالات والمخضرم يبحث عن إنجازات أخرى، تعدّ جديدة بالنسبة للعرب المتصلين بشكل أو بآخر، وبدرجة أو بأخرى بأوروبا، مستعمرهم القديم...

لقد غابت تلك العلاقة التي "... لها أن تكون بين الغرب والشرق والتي أسّس لها الطهطاوي منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي وعاظده فيها وقد جودها من بعده خير الدين التونسي في النصف الثاني من ذات القرن وهي علاقة الاستفادة من أسباب الرقي لاقتباسها لتحقيق التقدم من خلالها، وقد آلت إلى علاقة متوترة في علاقة رجل (يعني الفحولة

للكلمة)، بأننى حسب عبارة الأستاذ جور طرايشي (شرق وغرب رجولة وأنوثة) وقد دشّن عهدها الأستاذ توفيق الحكيم بكتابه "عصفور من الشرق" الذي اختزله جورج طرايشي في ثلاث كلمات هي "هجاء الغرب بتأنيته" وعلاقة، أخذ بالتأثر وهي تلك التي دعى إليها سهيل إدريس في روايته "الحبي اللاتيني" والتي إختزلها جورج طرايشي في ثلاث كلمات أيضا مشروع المتقم الكبير...

ولم يكن حال آداب العرب الذي كتب باللغة الأجنبية، وفي البلاد الأجنبية بأحسن من سابقتها فهو أدب "منهك الوجه" / Figure de malaise حسب عبارة الأستاذ الفرنسي من أصل يهودي تونسي البارمي Albert Memmi وهو أدب لا يكاد يتوقف عن الاحتجاج / Contestation حسب نفس الكاتب.

فهل أن احتكاك الشرق بالغرب قد أثمر غير ما تصوّره الطهطاوي وغير الدين التونسي وكل الذين طوعوا أدب الرحلات إلى متطلبات "الإصلاح" و"النهضة" و"الإحياء" في العامل العربي الإسلامي؟

إن الأديب السوداني الطيب صالح، حسب الأستاذ طرايشي قد بلغت به الثورة الهادئة إلى حد أن جعل "الجغرافيا تقلب معادلة التاريخ" في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" حسب الأستاذ جورج طرايشي "لأن المشروع قد فشل، ولأن العربي لم يجن منه، سوى "التقدم المزيف" فحالته كحال "الديك (الشرقي) المحشو بالفيتامينات" حسب عبارة جورج طرايشي التي إختزل فيها، قصة "بوق سان جارمان" (Saint Germain) لصباح محي الدين لا بل لأن العربي قد يكون فقد هويته، في مسعاه المغموم للأخذ بأسباب التقدم الذي صار أخذًا واستهلاكًا لنتائج التقدم، الواقع انتاجه في

الغرب، كما نفهم ذلك من العمل السردى للكاتب الجزائري، الناطق بالفرنسية، محمد عرب بالسعود والذي عنوانه "هوية مؤقتة" *Identité provisoire* بكل ما تعنيه العبارة من حيرة الشخصية والضياع الوجودي..

فلسبب أو لآخر استأنف أدب الرحلات العربي حياته باحتشام وبنسق أضعف مما كان عليه واستعاد توجهاته (*sa vocation*)، القديمة وقد غير اتجاهاته (بالمعنى الجغرافي) وقد صارت علاقة مختارة في الإرساء على "قبة" واحدة متراوحة بين الغرب الأوروبي وبلاد المشرق، وقد صنف الأستاذ يوسف الصديق علاقة المثقفين بالغرب من جهة بالمشرق ومن جهة ثانية إلى ثلاث مخانات "نوع انخرط في لعبة الحرب على الإسلام ونوع استحباب لرغبات المؤسسات العلمية والثقافية الغربية إلى تحفي السياسة المعادية للعرب والإسلام ونوع ثالث يحمل رغبة في العيوض في البلاد الأوروبية واستفاد من الحريات وهو يباشر هناك البحث العلمي والفكري بكل حرية... وهذا النوع الأخير هو الأقرب إلى نموذج الطهطاوي ومن الذي لم ير في الغرب الأوروبي إلا قيم الحرية والتقدم، والحال أن حملة نابليون القرية من عهده خربت ما خربت وهدمت ما هدمته في مصر وهي أعمال موثقة وقد أرّخها الشيخ عبد الرحمان الجعري كما سبقت الإشارة إليه.

ولعل هذا الضعف في اهتمام الأدباء التونسيين في خصوص الإبداع في غرض "أدب الرحلات" مرده ضعف "أدب الرحلات" نفسه، كسنة أو كتقليد أدبي وثقافي أو حضاري منذ القدم ذلك أن الأستاذ عبد الوهاب الدخلي قد أحصى ثلاثمائة وتسعة وثمانين معلومة (389 معلومة) من المساهمات التونسية في مجال تحقيق التراث المخطوط المغطى للفترة المتراوحة بين سنة 1860 م وسنة 1988، أي إلى نهاية حكم الرئيس الحبيب بورقيبة

(حكم من 1956 إلى 1987)... ولم يكن حظ أدب الرحلات منها أكثر من إحدى عشر معلومة (11 معلومة) فهارس) ... على أن الإحدى عشر معلومة لا تدل على أن الأمر يتعلق بتحقيق إحدى عشرة مخطوط في المادة، ذلك أن المخطوط الواحد قد تتعلق به أكثر من معلومة واحدة، مثل مخطوط محمد بن عمر الفهري السبتي (توفي 1329م) المسمى "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة" في الوجهة الوجيية إلى الحرمين والطيبة" الذي تعلقت به المعلوماتان عدد 46 وعدد 47 ففي المرة الأولى كانت المعلومة حول تحقيق الجزء الثالث منه من طرف الأستاذ محمد الحبيب بن الخوجة وفي المرة الثانية كانت المعلومة حول تحقيقه من طرف فضيلته في مستوى الجزء الخامس ... كما تتكرر المسألة نفسها عندما يقع تحقيق نفس المخطوط من طرف أكثر من باحث واحد، فرحلة التجاني (أي محمد عبد الله محمد بن محمد أحمد) قد حققها مرة أولى المستشرق ويليام مارسي W-MARCAIS وحققها مرة ثانية الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب قد تعلقت بها المعلوماتان عدد 106 و107.

بحيث أن حقيقة الوضع تتمثل في تحقيق تسع رحلات (09 رحلات) فحسب، هي وبخلاف: ملء العيب... " لابن رشيد، ورحلة التجاني، سابقني الذكر،

1) الجزء الثاني من "مستفاد الرحلة والاغتراب، (توفي 1329 م)، تحقيق الأستاذ عبد الحفيظ منصور (معلومة 109)

2) "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" لخير الدين التونسي سابقة الذكر، تحقيق الأستاذ المنصف الشنوفي (معلومة 129)

3) الرحلة الحجازية" لمحمد السنوسي، سابقة الذكر، تحقيق الأستاذ

- ( المعلومة 150 ) علي الشنوفي (166)
- 4) "رحلة القلصادي" لعللي بن محمد القرشي القلصادي (توفي 1486 م)، تحقيق الاستاذ محمد أبو الاجفان (167) (معلومة 202)
- 5) الأجزاء الثلاثة من رحلة "الورثاني" (معلومة 242).
- 6) "الرحلة الأندلسية" لعللي الورداني (توفي 1905 م) تحقيق الأستاذ عبد الجبار الشريف (169) (معلومة 243)
- 7) عبارة عن تحقيق فصل من الرحلة الحجازية محمد السنوسي أعلاه، خاص بـ "الخبر عن التونسيين بالأستاذية" تحقيق نفس الباحث، وهو الأستاذ علي الشنوفي الذي تولى نشره في "حوليات الجامعة التونسية" لسنة 1970 (170) معلومة 352).
- فإذا طرحنا هذا التحقيق من التسعة مخطوطات من مادة "أدب الرحلات" كانت وجدت عناية من الباحثين الذين قاموا بتحقيقها، فماذا تمثل بالنسبة لجملة المعلومات حول المخطوطات الواقع تحقيقها في تونس.
- 11 عملا محققا : تسفر عنها نسبة : 3,54%
- 06 أعمالا محققة تسفر عنها نسبة : 0,64%
- ومن شدة ضعفها، فإن العمل الأشمل، والمتصل بضبط "فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية" (171) للأستاذ جان فونتان J-Fontaine لم يخصص الرحلات بعنوان فرعي لأنها لم تكن تمثل "مادة" لركن له شيء من الاستقلال أو الذاتية.
- ففيما بين القرنين السابع والثاني عشر الميلاديين لم يذكر نصا واحدا في أدب الرحلات، على أنه في المرحلة التي وصفها بـ "الاستقرار الأول" والممتدة من القرن الثالث عشر الميلادي، إلى القرن السادس عشر حجل من

"أدب الرحلات" ظاهرة "تاريخية" مثلها مثل "كتب طبقات المشائخ (174) والتاريخ العام الذي مثله بابن خلدون (175) وذلك بتوليهِ إدراج "رحلة التحاني" (176) سابقة الذكر ضمن المادة التاريخية، ولم يورد الأستاذ فونتان عملاً واحداً في أدب الرحلات، في الفترة التركية (القرن 18 ميلادي) في الركن الخاص بمادة التاريخ (177) إلا أنه قد عقد ركناً تحت اسم التيار الدستوري" (178) ويقصد بذلك "الاصلاحيين" المنادين بإقامة "دستور" للبلاد، كما سبق أن بسطنا ذلك، وأدرج ضمن رحلات العصر الحديث أو القرن التاسع عشر الميلادي، فذكر

1) اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبي

الضياف (1803م-1874) (174) والذي قلنا أنه قد ضمنه الحديث

عن رحلته إلى فرنسا، مع أحمد باشا باي...

2) أقوم المسالك في أحوال الممالك خير الدين التونسي، سابق الحديث

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

عنه

3) صفوة الإعتبار ومستودع الأمصار والاقطار، محمد بيوم الخامس )

1840م-1869م) سابق الحديث عنه

4) حادثة جوية على الاستطلاعات الباريسية لمحمد القروي، سابق

الذكر. وخارج التيار "الدستوري"

وأما من خارج التيار الدستوري فقد ذكر دان فونتان

5) عرض البضائع العام بباريس، لسليمان الحريري، سابق الذكر.

وأما في عهد الحماية، الذي يبدأ سنة 1881، فإن الأستاذ جان فونتان بذكر الرحلات الآتية.

6) الرحلة الأندلسية لعلی الورداني، تحقيق الأستاذ عبد الجبار الشريف،

### سابقة الذكر

7) سلوك الابريزي في مسالك باريز، لمحمد بن الخوجة (1870 م - 1947)، سابقة الذكر

8) "الرحلة الناصرية بالديار الفرنسية، لمحمد بن الخوجة، وقد نشرها سنة 1913 وهي رحلة الناصر باي إلى فرنسا.

9) "توداد الكرم" وهي رحلة المهادي باي إلى أوروبا لنفس الكاتب، محمد بن الخوجة.

10) الرحلة الفليارية بالمملكة التونسية، التي نشرها محمد بن الخوجة سنة 1912 وهي في إتجاه مغاير فهي رحلة قام بها أجنبي إلى تونس.

11) دليل الأندلس، لسعيد أبي بكر (1899م - 1948) سابقة الذكر.

12) جولة بين حانات البحر الأبيض المتوسط، لعلي الدوعاجي (1909م - 1949م) سابقة الذكر.

ويبدو وأن هذا الرقم هو كل الحصيلة، ولم نلاحظ حديثاً إلا في خصوص الرحلتين الأميريتين "الرحلة الناصرية بالديار الفرنسية" للناصر باي و"توداد الكرم" للمهدي باي، وقد حررها محمد بن الخوجة.

وهي وبلا أدنى شك، كرحلات الأمراء كثيراً ما كانت تقترب بالرغبة في الإصلاح، عبر الاقتباس لكن هيهات فالرحلتان الأخيرتان قد تمتا تحت واقع الاستعمار، أي حين فقد أمراء تونس من البايات مقاليد السلطة والقرار، التي سلبت منهم وباتت في أيدي ممثلي سلطة الاستعمار الفرنسي.

ولعل مجهوداً عربياً أو إسلامياً جمعياً يكون أنجع لمعرفة الكم التقريبي لتراث العرب والمسلمين في مادة "أدب الرحلات" وذلك على غرار ذلك العمل الذي يذكر فيشكر والذي قام به، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والأدباء، بدولة الكويت الشقيق، والذي أثمر سفرا شاملا لمائتين وواحد وستين مخطوطا (261 مخطوطا) في مواد الطب والصيدلية والطب البيطري عند العرب من ابداع القلم العربي، وقد جمعها من إحدى عشر مكتبة منها مكتبات عربية (تونس، واليمن، ومصر) ومنها الاسلامية (تركيا) ومنها الاوروبية (اسبانيا والسويد وفرنسا وانجلترا) ....

### يتبع ...

عندما نقول بداية.. غالبا ما نتصور عملا متواضعا سواء على مستوى الفكرة أو على مستوى الإنجاز. وهو عادة ما يكون مجهولا من طرف النقاد نظرا لقلة خبرة صاحبه ومحدودية وسائله وقصر تجربته وقلة مراجعه. فلا صاحب النص يتجرأ على إظهاره مستقبلا ولا النقاد يدرسونه بعمق. فلكل عامل بداياته ولكل عمل مراحل نضجه وتطوره. وقد يحدث لدى بعض المبدعين العكس لأن الارتداد آفة بعض الأعمال وقد يبقى الكاتب طيلة مسيرته على العتبة التي بدأ منها فلا هو يطلع على ما كتبه الآخرون شرقا وغربا ولا هو يتطور.. بل يبقى يجتر أفكاره السابقة كما أنه المرجع الوحيد الذي يعطي ولا يأخذ. وقد سقط في هذه المطبة العديد من أديابنا العرب. وقد نعود إلى هذا الموضوع الخطير في حديثنا الآتي حتى نحاول فرز الغث من السمين وحتى لا تبقى الشجرة حاجزا للمشاهد الثقافي الأول في البلاد بيننا وبين أشجار الغابة الأخرى لأن المثل الشعبي يقول (وفي السوق أكثر من مرزوق واحد).



## الكتاب والكتابة

بقلم : توفيق العرقوبي

ككل الأشياء الأخرى في عالمنا ولكل كاتب مذاق مختلف يميز عمن سواه من الكتاب الآخرين وليس بالضرورة أن يكون المذاق رائعا كما أنه ليس ضرورياً أن يكون التميز جميلا فهناك من يتميز بالقبيح وهناك من يتميز بالسيئ.

(2)

هناك كتاب يكتبون بأقلامهم ولا يجيدون سوى الكتابة بالخير ولا يعينهم هوية ما يكتبون أو المهدف مما يسطرون ولا يشغلهم أمر الإحساس كثيرا. فالكتابة لديهم طريقة من طرق التعايش أو البحث عن الشهرة أو سعيا وراء لقمة العيش المرة.

(3)

وهناك كتاب يكتبون بقلوبهم تملأ العاطفة حروفهم يسيطر إحساسهم الداخلي على الكلمات فتكون كتاباتهم مرآة فاضحة لأعماقهم. وهؤلاء يصعب عليهم التوقف عن الكتابة أو تحويلها إلى النمط الواقعي الجاف لأن الكتابة بالنسبة إليهم إحساس مقيم في أعماقهم تعبر عنه أقلامهم فوق الورق. هؤلاء يمتازون بصدق التعبير عند الكتابة.

(4)

كُتَاب يكتبون بأحلامهم  
 منهكون من محاولة التأقلم مع واقع مؤلم  
 يجسدون أمانيتهم فوق الورق  
 يشيدون مدحهم الجميلة بعبارات رومانسية  
 يتحدثون بصوت الأحلام ويتمنون بصوت مرتفع وينادون ببناء  
 مدينة أفلاطون الفاضلة. وهؤلاء يمتازون بخصوبة أراضي الخيال لديهم.  
 (5)

كُتَاب يكتبون بأحزانهم يعبرون بصوت المأساة يتفون الكلمات من  
 معاناتهم طعم الحرف في كتاباتهم مرّ، ولون الكلمة في مقالاتهم أسود،  
 لا يكتبون من فراغ. ولا يجدون متعة في الكتابة عن الفرح وهؤلاء لهم  
 تأثير عظيم في القراء. لأنه غالباً ما يلامس منطقة مؤلمة في داخل  
 القارئ.  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(6)  
 كُتَاب يكتبون بأمراضهم، يسكبون أحقادهم على الورق، يتخذون  
 من القلم سلاحاً قذراً لقتال خصومهم. لا يتوانون عن ارتكاب أبشع  
 جرائم الكتابة. هؤلاء يمتلئون بالغرور حدّ المرض وغالباً ما يفتضح  
 أمرهم مع الأيام.

(7)  
 كُتَاب يكتبون بضمائرهم الحرف لديهم أمانة. والكلمة رسالة  
 سامية. ويتراجعون بكلّ شجاعة إذا ما اكتشفوا خطأهم في حق إنسان

ما هؤلاء هم أصحاب مبدأ راق وقضية صادقة.

(8) .....

كتاب يكتبون بلا ثقافة، يمارسون الكتابة كالطهارة، يتطاير الجهل من سطورهم، لا يجيدون سوى رصّ الكلمات بلا تناسق في المعنى تشعر بالانزعاج عند القراءة لهم وتتساءل بينك وبين نفسك: ماذا يريدون هؤلاء ..... وإلى أين سيصلون ؟

.....

كتاب يكتبون غيرهم، لديهم القدرة على التغلغل إلى أعماق الآخرين... يشعرون بأحزانهم، يحملون همومهم كالأمانة، يُعبّرون عن إحساسهم ببراعة تامة، يحاولون إيجاد حلول مناسبة لمشكلاتهم... كتاب يكتبون لغيرهم يعرضون أفلامهم للبيع ويبعون ضمائرهم قبل أفلامهم، يبيعون الحرف والكلمة والسطر والحلم والإحساس... ويكسبون أشياء كثيرة... ويخسرون أنفسهم.. إنهم أنواع: كتاب يصنعهم موقف... وكتاب يصنعون موقفاً، كتاب يمارسون الكتابة كما يمارسون التنفّس لا يستطيعون التوقف عنها تحنّياً للاحتناق،

...هكذا فالكتابة كشف وانكشاف وتجلية درامية لترنحات الذات في مسارها اللاهث خلف غرة اكتمال ممكن أو مستحيل، فالكتابة ملاحقة مسرفة للرغبة، لأن النص المكتوب كما يقول مورييس بلانشو، "ليس سوى مجال للتعبير عن الرغبة". ومن هذه الزاوية فالكتابة عند بلانشو، هي مجال الموت بامتياز. إنه موت رمزي تغذيه المسافة القصوى الفاصلة

بين حد التحقق في الكتابة وحد الانتقاء، وحين حصل الكاتب الياباني الشهير "أوزي كيتز أبورو" على جائزة نوبل في الآداب سنة 1994م، قرر التوقف نهائياً عن الكتابة، وأعلن أنه يترك لابنه مهمة استلام ومتابعة المسار. وكان ذلك الموقف سابقة في مجال "توريث" الكتابة. وكان تحقق الاعتراف عبر الحصول على جائزة نوبل، كان هو منتهى التوق الذي احتضنته الذات في سعيها الطويل نحو تحقيق الشهرة في مجال الإبداع.

أما الكتابة البرازيلية ذات الأصل الأوكراني "كلاريس ليسبيكتور" (1925-1977)، فكانت تقول: "إنّ الكتابة فعل قهري" وحين سئلت عن سبب تعاطيها للكتابة، أجابت: "إنني أكتب" لأنها مشيئة القدر... ولائني لا أملك شيئاً آخر أفعله في هذا العالم. فأنا أشعر أن وجودي زائد ولا مكان لي في هذه الأرض... ولولا هذا التحدد المتحد المتمثل في الكتابة، لكنت أموت رمزياً في كل يوم". ومعنى هذا أن الكتابة في حالة "كلاريس" هي البوابة السحرية التي تستمد منها الذات دفع وتدفق إكسير الحياة. إنها الكتابة التي تنجي من الموت، لأنها المماحكة الشهية لتطلعات الذات نحو الخلود. وفي ضوء هذه اللمحات، يمكن القول إن الكتابة بالنسبة لبعض الكتاب المشهورين اللّين اشتغلوا بها، تبدو ارتقاء هوسيا في غمار اللذة أو النشوة المشوبة بماحس التعويض عما تهدره الحياة من رغبات الذات وتطلعاتها المجهضة.

فهل الكتابة فعل خلاص أو وهم انعتاق؟ هل هي فورة التحلي أم غمرة

النمحاء؟ هل هي السعير المقيم أم الحنانُ الخضر الخصب؟. إنها بالتأكيد هذا وذاك، إنما درب ارتحال السندباد، والمغامرة الطويلة المنهكة لـ "أوليس". هي التدرج العبثي لصخرة سيزيف.

و الواقع أن هذا النوع من تصور أو تصوير الكتابة، مثل على الدوام حاجس الكتاب واشغالهم. لأن تحديد علاقة الكاتب بالكتابة، الخطوة الحاسمة في ترتيب العلاقة بين الأشياء والذات والكلمات. ويمكن القول إن ما يمكن أن نصادفه لدى الكتاب من آراء أو تصوّرات أو أحكام حول الكتابة، نابع في جزء كبير منه من خصوصية تجربة كل كاتب، وذلك بالنظر إلى أن "كل من يحكم على شيء فإنما يحكم عليه بما يناسب الصورة الخاصة منه في ذهنه"، كما قال "الجبرتي" في كتاب (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار).

ودائما في إطار ملاحقة هذه اللمحات حول علاقة الكتاب بالكتابة، يمكن أن نتوقف عند الكاتب والشاعر والرسام البلجيكي "هنري ميشو" (1899-1984)، الذي كان يقول: "الكتابة هي فعل قتل.. وأنا أكتب من أجل مسألة وتفحص مسألة الكائن والاقتراب منها أكثر" لكن مسار الكتابة، هو أيضا مسار الارتقاء إلى مدارج التبصر والحكمة، لذلك كانت فترة الشيخوخة، فرصة لهذا الكاتب من أجل طرح ثمره جانباً وإعادة النظر في علاقته بالكتابة من "الذي أورد فيه" Poteaux D angle زاوية جديدة. فكان كتابه مجموعة من الحكم والدروس التي علمتها إياه الكتابة والحياة، والذي يقول فيه: "مهما حصل، لا تنسق

أبدا وراء اعتبار نفسك أستاذا، لأنه مازال أمامك تعلم الكثير، الكثير جدا.

وإذا عرّجنا على الشاعر السويسري "بليز سوندرارس" (1887-1961)، نجد أنه يعلن تصوره للكتابة بقوله: "إننا لا نكتب سوى ذواتنا". بحيث تتحول الكتابة في عرّفه إلى تختر تنكتب من خلاله الذات بحثا عن صيغة وجود طافحة بنسغها النرجسي خلف القناع والنقاب. وقد كرّس من خلال حياته المليئة بالحركة والتنقل والمغامرات عبر العالم وغير هضاب سيبيريا، صورة الشاعر الذي يحتاج العالم بدل الاكتفاء بالحلم به وتخيل نجاده ووهاده، وجنانه وحجيمه.

وبما أن الأمر يتعلّق هنا بالكتابة، فهل بالإمكان اعتبار هؤلاء الكتاب الذين سقنا الحديث عنهم في هذا المقال، كتابا أم مجرد أشخاص يكتبون هروبا من عزلة قاتلة أو تطلعا إلى انفلات من وطأة الوحدة أو مراودة لحلم بعيدا المنال.

إن أيّ محاولة للإجابة عن هذا النوع من الأسئلة، هي بداية التورط في مكابدة حلاوة أو مرارة "الجراح والكتابة" ولهذه المكابدة عشاقها الذين ينسلون إليها عبر كل سبيل، ساهرين يأتون إليها، راكبين صهوة الكلمات، ممتنعين بلطخات المداد أو إهاب الحزن والحداد، متوشحين بالريشة والأقلام، متلفعين ببيض الأوراق كالمتلعبين بالأكفان. ولهم في ذلك مقامات وأحوال، ولهم في ذلك احتفال... وجرح... وجمر... وخلود... وترقّ إلى ما كان يسمّيه "هنري ميشو" بحكمته الحزينة البالغة: الحياة المضادة التي تولد من رحم الكتابة.

## أعراس العزلة زقاق (1)، الحبيب المرموش

سمفونية السقوط... انشطار الذات

بقلم : عبد الحميد المنتصر

تقديم :

كأن الروائي الحبيب المرموش شعر أن الكتابة الروائية ليست ترفاً فنياً وإنما هي مسؤولية لذلك جاءت روايته أعراس العزلة حافلة بمواضيع جديدة بالاهتمام وتجراً على نبش وفصح الذي ظل في كثير من الأحيان مستورا.

هذا الروائي أشعر قارئه أنه قادم على قول ما لا يقال مما دعاه إلى استعمال خبرته فحاول التخفي بأملوب غير معهود إذ قدم نصاً خارجاً على متن الرواية صرّح فيه بأن الحكاية حكاية غيره وكأنه يقول يتحمل وزرها صاحبها "هذه الحكاية ليست حكايتي، إنها حكايته" ص 8.

عالم لعين:

أي مجتمع هذا ؟ أي عالم هذا؟ كيف تكون الحياة في أجواء تعمها الرذيلة؟ إنها الحياة المهزلة هو الجحيم أينما حللت. هي الحقيقة المرة هي العلقم هي المأساة في أجلى مظاهرها.

لقد رأى جاره محمد الكلب وهو يتسلل ليلاً إلى غرفة نوم أمه. "عند افتتاحه فناء الدار ارتطم بجسد هائل لم يتعود وجوده في البيت، كان الجسد متسللاً من غرفة نوم والدته، لقد تركها نائمة منذ

قليل استعدادا لإحياء فرح جديد ص 25

تذكر بحوى اللعينة جارهم وهي تجره للفراش.

بدا له صديقه صالح داخل المكتبة العمومية وهو يدس كتاب "أزهار الشر" بين طيات ثيابه.

الحسنة التي جاورته في السيارة أشارت إلى نزل فخم "نزل أفريقيا" ثم جرته إلى زقاق إصطف فيه رجال أمام حوانيت وقد تظهر من حين لآخر فتيات في ألبسة شفافة. "عالم مكبوت ولعين، كل الرجال بحانين لا يشتمون من المرأة غير الشهوة" ص 63

الراوي في أطوار عديدة ينقل مشاهد مرعبة رغبة منه في خلخلة كيان القارئ وكأنه يستدرجه بأسلوب لا يخرج بالرواية النص عن أديبتها إلى الوعظ المباشر الجاف حتى يتخذ موقفاً وأن لا يخطر في هاته الجوقة التي انتشرت رائحتها العظيمة في أرجاء عديدة من المجتمع فالكاتب يذكرنا بما قاله جان أنوي في كتابه "كان هناك سجين" "أني أرض بجميع القذارات. الرذيلة ليست شيئاً، إنما الكوميديا التي تمثلها هي التي تجعل الحياة مرعبة"

الفراق:

أمام هذا الانحطاط الذي تفشى في طبقات عديدة من المجتمع احتقن السارد/الكاتب وأخذ يبحث عن مخرج لكن القوى الضاغطة من حوله كانت عنيفة "ترشّف قهوته على مهل وفكر في الهروب، تساءل أين سيمضي" ص 79.



إذا كان لا بدّ من البقاء في هذا الجحيم فأعراس العزلة لابدّ أن تقام في عالم تشعر فيه الذات أنّها سحينة رغما عنها وأن الخلاص بعيد المنال "أنا كائن انطوائي ووحيد وقد يست من كوايس من هذا العالم" ص 11 لكن هل هو الحلّ الأمثل؟

إذا كان الحبيب المرموش قد أفلح في جرد قارئه إلى بور مظلمة تنغص حياته وتترك مرارة في الحلق يصعب التخلص منها فهذا الأخير لابدّ وأن ينتهي إلى أن هذا المجتمع له وجه آخر غير هذا الوجه.

#### إشارات:

لقد اشتغل المرموش على اللغة وارتقى بأسلوبه على مستوى جعل الإيقاع الموسيقي لا يغيب في الغالب يقول "لطالما سمعت أنوثتها تنادي... تروّض الشهوة في رأسي وتلهب كباقي لكنني ظللت أمانع... وأراوغ... وأعانده" ص 9 . فالتكرار والإيقاع خاصيتان عادةً من خاصيات الشعر، لكن في مواقع أخرى يشعرونا القارئ أنّ اللغة اغوته إلى درجة أنّه حاد عن الطريق وسقط في أسلوب استعمل فيه تعابير مصطنعة في شيء من التكلّف " لم يستطع غضّ نظره عن الجدول المنساب ما بين التهدين فراح زورق بصره بمخر بلا هوادة" ص 45 وكما يقول محمد القاضي "لما كانت الرواية أدبا، كانت اللغة أدبا بل جوهرها. وإن كانت اللغة في بعض المجالات وسيلة لغاية فإن اللغة في الأدب وسيلة وغاية في آن" (2).

#### الإحالات:

- 1- أبولس الانتباهات الأدبية الحديثة ترجمة جورج طرابيشي ص 67-1983.
- 2- مجموعة من الباحثين الجامعيين - عالم طرشونة دار الخدمات العامة ص 34 سنة 1998.

بمناسبة انطلاق الإستشارة الوطنية حول الموسيقى:

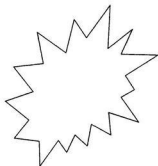
## واقع نحياه في خضرائنا

شعر: عبد الرحمان الكبلوطي

جمع الشتات وأقبل الأحباب  
بالله أين العود يا (زرياب)؟  
نصغي إلى عزف رقيق باهر  
وقد ارتقى لمقامه الأقطاب  
فلنا تراث زاخِر مشفرد  
في اللحن بمدح شدوه الكتاب  
من عهد (زرياب) اتانا شاديا  
فتحلقت من حوله الأسراب  
وأتى (الموشح) بعد ذلك هازجا  
و (الغيث جاد). وماؤه جواب  
ومع (الرشيد) تأسست (جمعية)  
لمعت ، وفيها أثمرت اعناب  
(مالوفها) زاد (البشارف) رونقا  
وبها (البراول) نغمة تنساب

وبلادنا المعطاء فيها طابع  
 متميز ، ملئت به الأوطاب  
 (ترنان) عوده كم یرن، ولحنه  
 (كالزهر فاح اریجه) الجذاب  
 وبدا (الجويني) شاديا في ليله  
 (بالياسمينه ) ، والهوى غلاب  
 وأتى (الرياحي) مطربا متأنقا  
 بحمال صوته تسحر الألباب  
 وكذا (ثريا صادق) في لحنه  
 عنه (الحمامة) ناشزا تنجاب  
 و (حسيبة) كنم نافست (فتحية) <http://A>  
 أحلى الأغاني، حولها الأصحاب  
 هل تذكرون (صليحة) و(غزالها)؟  
 ومع (الجموسي) لذت الأكواب  
 و(صالح المهدي) راق غناؤنا  
 وكذا (رضانا) عزفه خلاب،  
 والأغنيات بها (علية) تنتشي  
 مع (نعمه) وصلت بها الأسباب

حتى بلغنا اليوم جيلا صاعدا  
 فتحت لابداعاته الأبواب  
 (لطفي) يصول و(صابر) و(لطيفة)  
 و(صفية) و(الزين) و(الغضاب)  
 (شكري) و(سنيا) ها هنا و(أمينة)  
 والآخرون كواكب وشهاب  
 عهد جديد للثقافة داعم  
 ولنهضة بفنونها وثاب  
 هو واقع نحياه في حضرائنا  
 (الاستشارة) زانها الأثراب  
 حتى تشمع فنوننا في عالم  
 تغزوه عولمة لها أذنان



## غيمة... خلف شفاف القلب

شعر : محمد المحسن

الإهداء : إلى تلك التي أطلقتني نورسا للعناق الوجيع

(1)

... بين جرحين كنا معا في التشظي .. كنا

واذ نال الحزن من أضلعي قلبت

وأنت تصوع عطرك بين التنايا وظلمت

وحيدا

ومهمرا في الفصول.

في ليل مدينتي حيث لا شيء يشبهني

غير نجمة أمراها تضيء وتخبو

أمراني أمرنوا إليها علها تفتح لي دربا إليك

فما نزلت أخشى عليك من شائك الضوء...

وما نزلت ... أحيل أيامي إلى نرجس اعتراه  
الأفوال ...

(2)

مر عطر مسراتنا ... ومرر هو القوت  
لكن طيفك أدخلني في ضياء الثمار  
وقد فتح الوجد أبوابه للرؤى  
ولاح نجم يضيء على عاتق الليل  
فظللت أنظر . ثقيل هو الإقطار .  
طائر الصحو لا يحتفي بضيائي

يطارد ضوئي ... يوغل في المدى  
ثم يحط على وجع بأصل الروح

قلعه الحدائق أوراها ... ويذبل ورد النهار ...

(3)

منذ تخيلتك ... وأنت تعبرين بساط  
الحنramي ..

تلجین فلوأت الروح فی مرف الثوب...  
 وتمدین أصابعک فی خیوط الحریر المذهب..  
 لک هذا الحمام - المحنوبي -  
 علمته الهدیل فی نرمن للبکاء  
 علمتک کیف یرشح من الحلم عشق  
 وماء... .

صرخت بملء الروح علی یحیی طیفک  
 قفنا أول اللیل نذرا... وألبس أبهی ثیابی  
 ولکنی وجدتك فی برزخ الوجد..  
 بین البکاء... . و بین الغناء

ومن معجزات الزمان... . یتجانس فیک  
 الثری والفضاء... .

(4)

آن للوجد العتیق أن یتفادی دروبی  
 ویعود بی الزمن إلى حقل صباي

يوم كان اليعام ينام بحضني ... وبقربي

تدنوا القطوف

وأراك كما كنت أرسلك على دفتري

المدرسي ...

يتهودج طيفك في ثوب شفوف ...

وأراك ثانية وقد لامس عطرك نرجس



الروح ...

تشم ... ألتفك وقد نضج المهد قبل الأوان ...

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

(5)

... كانت لي أمنية ... أن أراك كما كنت ... قبل

البكاء

أن لا أرى في شهقة الريح، عاصفتي

لا أرى في دفتر عمري

ما كنت خبأته من شجن ومواقع ..

.. سلاما على ما تبقى



...سلاما -على تَعْتَةِ الخمر-

...سلاما على أمي التي أحنو على طيفها ما استطعت

...سلاما على كل الرمال احتضنت حيرتي

...سلاما على غيمة ترحل

عبر ثأيا المدى...

ها هنا... امرق الموج، وقد أنجرت مروحي

دون أشرعة

تري... هل أقول للنزيد إذا ساح إلى:

دعني أقرأ نروح العواصف

فأنت لست في حاجة للبعاء

دعني أطرز عمري وشاحا للتي سوف

تأتي

على يحمي الموج بما وعدته الرقوى

فليس سوى غامضات البحار تقرأ الغيد

وتنبئ بما خبأته المقادير

وفاض منه الإباء...

## قصائد من وحي الرحيل

شعر : عمار العوني

(1) المخرف

القادم الكئيب

هذا المخرف

قد جمع الغيوم في جفن الغروب

وأرسل الرياح في التلال

لتمتث الترف

وتتلف الأحلام في المدى

لعله المساء قد غاب في الظلال

ثم استوى قصيدة جديدة

هناك كالصدي

وكان شاعرا يوقد الشموع على الرصيف

هناك في الصمت الذي تصرخ من جرحه المدينه

## (2) في انتظار الفجر

أسرة المرضى

تلك التي تطل من النوافذ العالية

على المقبرة

في انتظار الفجر كانت

وعلى مقربة

بعض المرضى

ARCHIVE

مخشين في أروقة الطابق الثامن

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

متعبات

وشاعر ربما كان ينسج الكلمات

وطيلة الليل كان يستقي في الصمت زهرات

هناك كان يسأل الشرفات ؟ !!

## (3) فوق الهضاب البعيدة

فوق الهضاب البعيدة

تلك قد سيبحثها التلال

بمحرقة السراب في اليلول  
كان الرعاة يحملون هناك  
في غيبة الذئاب  
والشاعر الحزين كان يسأل الملاك  
فوق الهضاب  
وينشد الضياء  
في آخر المساء  
ليكتب القصيدة الأخيرة  
(4) القرابين  
تلك المجموع  
توهمت ما في المدى شموع  
صفقت للقرابين  
ذات عام  
في ساحة الضجيج والترحام  
ثم ظلت - عبر السنين - في المنام

ترقبت الأحلام في السراب

لرما يخذل المحرق

وتقطع الطريق

لكن هوت وهي تمشي في الضباب ...

(5) الجمل الذبيح

قد كنت رأيته بالأمن تبكي



والآن إذ أمراك إلى الذبح تساق غرباً

<http://Archwebeta.Sakhrit.com>

في ساحة مفقرة

أذكر الأثقال المتعبة

في الدرب ومرحلة مغبرة

فكم مشيت في صحرائهم !

وكم صبرت طويلاً لتحمل ماءهم !

تلك النهاية المخزنة

وقد رأيته الجميل في المدينة المثقلة

## أنفاس البحر

شعر : ضحى بن طاهر

أنفاس البحر ...

تؤلف ...

مروايات على الجدار ...

أنفاس مرطبة ...

تعمري الطلاب ...

<http://Archiweta.3khrif.com>

ترسم اطلالا ...

حفرا ...

تمائم حب مقدس ...

آلهة جمال ...

عاليا هناك ...

أجرب يا هت اللون ...

ضارب في القدم ...

ذائب في الزمن ...

يفترق أمطار ...

الستين القديمة ...

يتعري بكل ذكراه ...

بكل أعبئة الشتاء ...

يهو السحر على المكان ...

ARCHIVE

التحف بالذهول ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

انجذب ...

للكوت سحري أخاذ ...

لمدام ...

مخضب بآيات الحنين ...

لما قد مضى واندثر ...

لشجرة حب ...

شتتها الزمان ...

من الجذور ...

لعاطفة ...

مردمتها الصلوات ...

هنا ...

تحت أنفاس البحر ...

وبقايا جدار من ماء ...

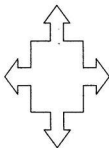
تستكين الروح قلعة ...

هنا ... ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بتأعرفني ...

حدّ الذوبان ...





## قصيدتان للقلم

شعر: مختار المومني

\* القلم الأخضر

قلمي مطر



يخفف من أعماق البحر الهادر

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وهو الحلم ...

\* النور الدافق

سبح في صفحات الورق الأبيض

يرحل في غيمات الشعر

فأحس لذاتي أجنحة

ولنفسى أمانا

## \* القلم المنارة

يا قلمي الذي يرشدني حين تضيق السبل

ويشرنني قمرا في السموات

ينرر عني ومردا في الفلوات

يرسمني شارة أمن على أجنحة النور من

يكتبني شارة نصر فوق الشرفات

يا قلمي الأخضر

ARCHIVE

<http://Archives.khrit.com>

يا قلمي الهادي

لوتكبو

أو تصمت

أنهي ...

أموت

## حمى هي الظلال

شعر: النوري قم

لا مني الأهل فقالوا:

مرب ذنب لا يطال

فألفتى صامر عنيدا

وله الطبع سؤال

هكذا المرء، مرب

ARCHIVE لا ياتي لوبتال

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

عقله يصنع سحرا

واللسان لا يتدال

ان تمنى أن يعيش

عمره هو النروال

لوشكى في الثنابات

ما شكاه من تعالوا

أيتها الإنسان مهلاً:

حملت عنك الجمال

صرت ذكرى للزمان

أمسك النائي خيال

لا تموت الخالدات

لا ولا يفني الجمال

فعلام اليأس يسعى

كلما بأن الجمال

والأمم الأكتئاب

كم تشفى الاعتدال

صامني الأهل ولا مو

قلت: ويحي يا كرام

أنا لست ادعي، في

مهجتي غنى الحال

كـم أحب الخير، دهمري

فهو فونر وكمال

وأرى الشمس فوقى

يرتوي فيها المال

جسدي كالعشب ينمو

في الخلاء وهو الهزال

لا تلوموا... لا تلوموا

ARCHIVE

اني ابن حلال

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

علمتي، كلماتي

كيف يعنيني المقال

امتى، هي فلاح

والحمى هي الظلال

## العروسي

قصة : محمد العائش القوي

خلال الأماسي التي لا يشغلهم عنها عمل منجمي، كانوا يلتقون بورشة حدادة العروسي... هي سقيفة تتصدر حوشا يفضي إلى غرفة ومرحاض بناها صاحبها بقوالب الطوب وسقفها بخشب النخيل الذي نقله من حامة الجريد (مسقط رأسه) إلى المتلوي ..

بدأت المساكن تبرز بحي الأمل المجاور غربا حي الطرابلسية لتشكل تلاصقا فوضويا من الحيطان الهشة التي يستطيع المرء أن يدخل في قوابها الترابية سبابه يده عندما تبللها الأمطار الغزيرة فتحولها إلى عجين لزج... وكثيرا ما امتازت بيوت بكاملها بعدما أشبعتها السحب ماء فلم تتحمل الوقوف مبللة تحت ثقل السقوف.

أما منزل العروسي فقد كان منتصبا في الزاوية العليا بالحى خلف تقاطع شارع وزقاق فلم يكن عرضة لانسكاب مياه المآزيب على جدرانها أو جريانها لصق أسسه لذلك تحول في العديد من الليالي الممطرة إلى مأوى زملائه العمال من أهل العزوبة، فيسهرون ويشتركون في إعداد طعامهم وينامون إلى أن تفرق بينهم مواعيد الشغل بمنجم الجحشة الذي يطعم من معدنه العيال ويقتات هو من أجسامهم.

والعروسي شاب لم يتخط الثلاثين سنة من حياته... كان قد غادر

مسقط رأسه في بداية الأربعينات من القرن الماضي للانخراط في صفوف عمال الداموس غير آبه بتوسلات أمه العجوز التي حاولت إثناءه عن عزمه خوفاً عليه مما قد يصيبه من مخاطر مهنية (سمعت عنها الكثير) نتيجة التغيرات الأنفاق تحت ضغوط كتل الطين والجمعر والكلس والصوان العملاقة على تجويفات الجبل التي حفرها فؤوس حادة كأظافر الفئران لكنها أصلب من أحجار، الصوان التي يتطاير شرارها تحت وقعها القوي.

عمل العروسي بمنجم الجحشة طيلة ثلاث سنوات لم يحصل له فيها مكروه وكان من وقت لآخر يعود إلى حامة الجريد لزيارة أمه حاملاً إليها قفة مملوءة سكرًا وشايًا ومقرونة وكاكاو وحلوى وعلكًا وعلب طماطم، بعضها مستورد من وادي سوف والعاقر وتبسة وسوق هراس الجزائرية المتاحمة لحدود البلاد بالجنوب الغربي وبعضها مستحلب خصيصاً من مصانع مرسيليا إلى مقتصدية Economat شركة الفسفاط، وبعضها مصنوع. بمعامل بدأت تظهر في مدن تونسية.

تفرح الأم عندما يضع أمامها إنها القفة التي لا يوجد لها مثيل لما بداخلها بخوانيت مسقط رأسه ومتاجر الجريد عامة غير أنها لا تتخلى عن تكرار عبارتها المألوفة:

- من أين جئت بهذا يا كيدي ؟

يرفع العروسي رأسه تباها وإفتخارا :

- من متاجر المتلوي يا أمي .

- لا بد أنك أنفقت مقابل الحصول عليه كل ما قبضته من عملك ؟  
 - جزء ضئيل منه إشتريته بمقابل مالي وأكثره إقتنيته بالكريدي.  
 - يقال أن عمال المتلوي رهائن لدى شركة الفسفاط لكثرة عيشهم بالكريدي.

تدخل حدة بنت الحركاتي وإذ تقع عيناها على العروسي تتصنع الخجل فتتظاهر بالخروج قبل ان تنادى العجوز:  
 - حدة تعالي ولا تحجلي لقد جلب العروسي اللوبان من المينة لأمنحك منه بعض الحبات !

لا يهتم بها العروسي الذي يكتفى بمراقبة ما يدور بينهما من حديث وعندما تخرج الفتاة تقترب منه أمه قائلة:  
 - حدة تقوى عودها ولحستها الغولة يا ولدي.  
 - لحستها الغولة أو الجنية... فما دخلي أنا في ذلك ؟

- إن أردت اخطبها لك ؟  
 - أمي ... إن كنت ترغبين في أن أزورك مستقبلا فلا تحدثيني عن حدة.. فأنا لا ولم ولن أفكر فيها إطلاقا.  
 ينتهي الحوار بالصمت.

يعرف مصطفى أن العروسي كان من أكثر عمال الداموس فتوة وقدرة على تحمل الصعاب والصبر على الأتعاب، وكان خارج المنجم كريما بشوشا يستقبل زملاءه في بيته ويعقد لهم مجالس الأتيس والصفاء فيشربون الشاي ويحتسون اللاقمي المرّ "القيشم الذي يستورد له



خصيصاً من حامة الجريد في أغلب المناسبات التي يزوره فيها أحد الأقارب من أبناء قريته... إلّا أن الذي حدث غير مجرى حياة الرجل، فقد انهار عليه سلخ من النفق الذي كان متواجداً داخله لاستخراج الفسفاط فتسبب في كسر رجله اليسرى التي لم يتفطن الطبيب الأوروبي بالمنجم في معالجتها إلّا بتر ساقها.. وبعد شهرين من الإقامة بالمستشفى خرج العروسي متأبطاً عكازاً ولا تعويض له عمّا حلّ به من طرف الشركة الاستعمارية التي اعتبرته في تقرير مهندس المنجم مخطئاً ويتحمّل المسؤولية في ما حصل.

تعاطف عمال المنجم مع زميلهم فجمعوا له بعض النقود لمواساته وللتخفيف مما أصابه وتفاعل الخضر والقطار والجزار مع الحدث فتخلوا على ما بذمته لديهم من الكريدي، وجاء أقاربه من الجريد لإرجاعه إلى مسقط رأسه فلم يقلحوا في إقناعه بالعودة معهم إذ قال لهم بصريح العبارة:

هنا دفنت ساقى اليسرى وهنا سأوصي أصدقائي بأن يحفروا لي قبراً توارى فيه رفاقي بعد موتي. ولم يعد أحد يطلب منه مغادرة المتلوي حتى عندما يزور مسقط رأسه من حين لآخر قبل أن يتوفى الله أمّه.

تذكر العروسي أنه قد اشتغل صانعاً لدى أحد الحدادين في قرية دقاش عندما كان مراهقاً ففكر في مواصلة حياته وحول سقيفة مسكنه إلى ورشة صغيرة للحدادة يمارس فيها أعمالاً بسيطة ومتواصلة لصنع الواقيات الحديدية للشبابيك الأحياء الفوضوية التي برزت كالفقايع

تحمل أسماء سكانها الطرابلسية والمغاربة والسوافة والجريدية ومداشر أولاد عمارة، أولاد مبارك، أولاد دينار، أولاد سحيم، أولاد سلامة، أولاد رضوان.

وكان أصحاب المساكن يقون منافذ بيوتهم بالعوارض الحديدية التي يصنعها العروسي حماية من تسرب اللصوص والمتربصين ببعض النسوة عندما يغادر أزواجهن المنازل ليلا للعمل بالفوج الثالث 3Eme Poste من العاشرة إلى السادسة صباحا.

أما الأهالي والقاطنون بالبادية الحمارة والسبسب والسقي القبلي والسقي الغربي وريشة النعامة فقد كانوا يحملون إلى الحداد الشاب المناجل والفؤوس وسكك المحارث لشحذها متعاطفين معه في مصابه فيجودون عليه أحيانا باللبن والحليب والسمن والبيض.

وتحرك دولا ب الرجل رغم بعض الإعياء الذي ينتابه عندما تتواتر مسارات عمله لانه لا يستطيع تحمل الوقوف كثيرا على ساق واحدة معتمدا على عكازه الذي لا يمنحه فرص الاستعداد المناسب للعمل، فكان أصدقاؤه يساعدونه دون إشعاره بحاجة إليهم فيسوّون له بعض القضبان الحديدية التي كان بعضهم يسرقها من مقتنيات ورشة الحدادة بشركة الفسفاط بل يتعدّون ذلك العمل فيصنعون له بعض الأشكال التي يهيئ أمثلتها ليشدّ بعضها إلى بعض بأساور معدنية لغرض لتحويلها إلى هيكل واحد متماسك بعد تسويته الشيء الذي يجعل العامل إبراهيم يصرخ بالقول:

- الصلاة على النبي خمسة وخميس عليك يا العروسي هذا أحسن من شبابيك دار مدير الكبّانية.

بدأت الفرنكات تتجمع في بيت العروسي فلم يكن يخشى عليها من السرقة لأن جلّاسه أوفياء مخلصين له ولكنه أصبح يشعر بالقلق نتيجة تزايدها وخاف أن تأتي يوم فينفقها فيما لا يعنيه إثر نشوة ناجمة عن عريضة حمرية فاخرة لذلك فكر في موضوع هام.

اغتنم ذات مساء فرصة تأخر قدوم أصدقائه ووفادة مصطفى فأسر له بما فيه:

\* مصطفى .. أنت صاحبي وأخي ؟

- ربي يستر يا العروسي ... خير إنشا الله:

\* أريد منك أن تكلم لي ولد الزوقة:

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- في خصوص ماذا ؟

\* في خصوص رغبي في الزواج من أخته مباركة:

- يعني أنك ستغلق في وجوهنا باب حانوتك عندما تتزوج:

\* لا يا مصطفى .. الحانوت يبقى حانوتا للعمل ولتجمع الأصدقاء أمّا الحوش فيصبح لي ولزوجتي فقط بعدما افتح بابا شرقيا يجعلها تدخل وتخرج دون ان يراها أحد من جلّاسي.

صمت مصطفى قليلا وعيناه تنظر إلى زهرة الحدادة ثم رفعهما في وجه العروسي:

- أمهلني عدة أيام حتى آتيك بالجواب .... يستع ...

## حكاية رجل مهزوم

بقلم: محجوبة الجلاصي

أدرك جيدا يا سيدي أنك تحمل خيانات الأحبة وخيانات الوجوه  
وأن أحلامك مطعونة من الوريد إلى الوريد وابتهاماتك تاهت في  
المتاهات... أدرك جيدا أنك مثلي... تحمل انكسارات ورغم ذلك  
فأنت تؤمن مثلي بالشمس والقمر.. وأن قلبك بحر من العطاء لا حدود  
له وأن الغد سيكون أحلى وأجمل... وأنت ستتصبر وسيأتيك الليل  
بأمانيك وأحلامك التي كانت متنوعة فقط... كن واقفا .. شاعرا ...  
دائما ...

ARCHIVE

<http://Archive.sakhril.com>

لا تهتم بما قالوه لك من أنك رجل مثالي جدا... تحلم كثيرا  
وطموحاتك كبيرة وأنت رومانسي جدا ... تعشق الطيور والبحر  
والفراشات... وتكتب القصائد وتحب مغازلة القمر... لا تهتم  
بتفاصيلهم الواهمة... فأنت أكبر من سخافاتهم... كن كما تريد وارسم  
أحاسيسك كما تشتهي... كن طيبا.. حالما.. ومارس عشقك.. ولا  
تفشل...

\*\*\*

لا تحزن إذا خانتك انثى وعبت بأحلامك وسخرت من حبك

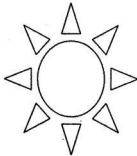
واهدتك الأوهام.. لا تحزن كثيرا فالأيام ستجعلها تندم على خروجها  
من جنتك... متضيع في المتاهات ومستبكي ندما وستكون مسافاتك  
أشواكا وستلاعب رياح الخريف بأحلامها. لا تحزن ولا تعكر صفو  
أحلامك القادمة وواصل عشقك للقمر والربيع واروي للطيور حكاية  
غرامك الجديدة.

\*\*\*

كم هزمتنا الحياة يا سيدي... وكم اربكنا الموت.. وكم لعبت  
الأقدار بنا... وكم أبكتنا الأيام... فلا تحزن... إذا هزمتك امرأة...

\*\*\*

كن مثلي يا سيدي... لا تستسلم بسرعة للهزيمة وتطعن من خانوك  
بحقيقتهم الزائفة وأحلم مثلي بعودة الربيع وبالفرح المنشود وكن مكتظا  
بالأمل وبالحب... فالغد سيكون جميلا... ولا تدع هزائمك تربكك  
وكرر محاولتك في استدراج الفرع إلى مناطقك.



## المنعرج الوردّي

قصة: البشر التلمودي

من كان يظنّ أن الحبّ سيغيّر مجرى حياة نادبة بهذه الكيفية؟

نادبة نفسها تعجبت من نفسها...

خصوصا عندما التفت بمحمود أوّل مرّة...

أوّل الأمر تعجبت من وجوده في ذلك الجوّ...

شاب غارق في الكتابة وسط مهرجان للحجاز؟

-مسكين يبدو أنّه شاعر...

واعترافا فضول كبير لمعرفة حكايته وسبب اختياره هذا الجوّ الصاحب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

للكتابة وعبر ذهولها...

تذكرت (الحمامات) الرائعة... والليالي الصّابعة... والنادي... والرقص

الذي دأبت على ارتياده باستمرار.. للتمتع صعبة أصدقائها بالضحك

والرقص والموسيقى...

تذكرت كلّ شيء حتى تلك اللحظة التي جمعتها بمحمود...

كان ذلك في مهرجان الموسيقى الغربية الأخير...

وكانت قاعة الحفل الفسيحة مكتظة بمهواة الرقص من الشباب...

مرّة أخرى... قرّرت نادبة شرب كأسها حتى الثمالة لإبماها بأن الحياة لا

تأتي إلا مرة واحدة...

وما على الإنسان الذكي إلا أن يحياها بالطول والعرض حتى لا يندم يمرّ  
قطار العمر وتسرقه أيام الحياة...

كانت تقول دائما لكلّ من يلومها على لُهوها الدائم:

-أنا واثقة من أن الحياة فرصة عابرة لا تعوّض..

على الإنسان العاقل استغلالها حتى الرمق الأخير...

وليكن بعد ذلك الطوفان...

تقول ذلك... وتضحك بملء جوارحها.. ضحكات باتت تزرع في

عروقها نشوة بلا حدود .....

.....

لما دخل محمود ذلك الملهى... لم تمنع نفسها من الإلتفات

إليه... والنظر فيه مليا نظرات الإعجاب والتقدير و... الحب!..

قبل أن تتوجه إليه وتكلمه... تساءلت عن سبب إعجابها به...

"رجل أنيق جالس لوحده بعيدا عن الجمهور الصّاحب

ينظر... يلاحظ... ثم يكتب..."

-يبدو أنه صحافي... أو شاعر... ربّما...

نظرت إليه ثانية في شيء من الفضول... فأرادت أن تتعرف عليه

أكثر... حتى تعرف قصّته...

- "هذا الرجل الغريب الوحيد الذي يكتب!..."

ورأقت لها الفكرة...

تقدّمت نحو صديق تعرفه وقالت تسأله وهي تشير بعينها إلى محمود...

-أنظر ذلك المسكين الجالس في الزاوية...

-ما به؟

-هل رأيت ما يفعل؟..

-أظن أنه يقرأ..أو يكتب..لا أعرف..

-وهل هذا مكان للقراءة...

-أهل العقول في راحة..

-يبدو أنه غريب عن هذه الأجواء...

-هل قولي تجاوزه الزمن بأشواط...

-يبدو أنه شاعر...

-اذهي إليه...لعله يكتب فيك قصيدة في الغزل...

قال ذلك وضحك في سخرية...بينما أضافت نادية قائلة:

-لن يمضي وقت طويل حتى أعرف الحقيقة...

وسارت تشق طريقها وسط الجماهير الصاخبة متجهة نحو منضدة

الشباب الوحيد...

وقفت قبل الوصول إليه على بعد خطوات منه...

وحاولت أن تهدئ من هذا الارتباك الذي فاجأها...

-كيف يحدث هذا معي؟....

أن المتعوّدة على الاختلاط بالجنس الآخر أكر من أي فتاة أخرى؟

كيف عدت فجأة إلى سنوات المراهقة الأولى...

كما لو كنت تلميذة مرحلة أولى؟..

أحسّت بذلك...

لكنها قرّرت مواصلة اللعبة فتقدّمت منه بخطى مترددة...



لما وصلت قربه ووقفت أمامه... شعرت بأن حيرتها قد ازدادت...  
 فلم تعرف كيف تبدأ مع الحديث...  
 وتفتن الشاب لوقوفها أمامها...  
 فرفع إليها بصره وابتسم لها...  
 فأحسّت نادية بارتياح سري في جسدها كثير سحريّ  
 جارف... أنساها ارتباكها...  
 فابتسمت له وقالت في دلال:  
 -أرجو المَعذرة... إن أنا عكرت عليك صفو وحدتك...  
 -العفو... تفضلي...  
 نظرت في عمق عينيه طويلاً ثم حوّلت بصرها إلى أوراقه وقالت تسأله:  
 -أنت كاتب؟...  
 -ربّما... لكن ليس بالمعنى المتعارف...  
 -يعني؟...  
 قالت ذلك... وابتسمت ثانية في حجل...  
 وبدأت تداعب بأصابعها أزراراً فستانها الجميل...  
 صمت الشاب لحظة ثم نظر إلى وجهها الساحر متعجباً وقال كأنه  
 يسألها:  
 -يعني ماذا؟..  
 -أقصد... ألا يقلّقلك هذا الجوّ الصّاعِب؟..  
 -لو لم يكن صاعِباً... لما أتيت...  
 -إذن لماذا لا ترقص؟

- ضحك وقد أعجبه سؤاها وأجاب:
- لأنني أتيت من أجل شيء آخر...
- أحسن الرقص؟..
- لم أقل هذا...ثم أنني لا أحسن الرقص...
- أنت متفقد إذن؟
- لو لا براءتك لقلت أنك من الاستعلامات...
- اطمئني يا أنسي...أنا فقط باحث بصدد إعداد دراسة (حول الشباب والحياة النفسية) أتطرق فيه إلى (جنون المراهقة)...
- (وكيف يكمن للشباب أن يعيش مراقبته بلا مشاكل نفسية؟)...
- (ولماذا ينحرف البعض من أبنائنا في سن المراهقة؟)...
- (ودور الأسرة في إمكانية منع انحراف أبنائها)...
- إلى غير ذلك من المشاكل...
- هل فهمت الآن لماذا جئت إلى هذا المكان يا...  
نظرت إليه وكأنها لم تع من كلماته شيئاً وقالت:
- أنا أسمى نادية...وأنت؟..
- تشرفنا...وأنا محمود...
- ودَّ إليها يده يصافحها...
- قالت تسأله:
- الآن وقد عرفت هذا الشباب (الجنون كما تقول)...ما رأيك؟
- ستقرئين رأيي عندما تنشر الدراسة...
- أحب أن أعرف رأيك الآن...

-بصراحة لست ضدّ (الفرفشة) من حين لآخر... لكن...

الضياح الدائم أرفضه....

يجب أن يحدّد الإنسان خطوط حياته... اليوم وغدا... حتى لا يتبلعه

مطبّات الحياة...

-مطبّات الحياة!!؟

قالت ذلك وأحسّت أن الكلام محمود الأثر البالغ في أعماقها...

فقد شعرت وهي تستمع إلى حديثه...

أن تيارا من النار يسري في عروقها فيسبّب لها أوجاعها دفينه...

-ألم يقصدها يا ترى بأقواله تلك؟..

إنما تعترف بخلاعتها واستهتارها وعربدتها...

وتعترف أيضا باتّسمائها إلى هذا النوع من الشباب الذي ينام ويصحى

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

على الضياح...

ثمّ إنما تعترف كذلك إنما عاطلة... لا تعمل...

يعني عضو أشلّ في مجتمع بات يعمل ليل نهار كخلية نحل كبرى...

ولكنها لم تكن مستعدّة لمعرفة كلّ هذا منه...

فجأة!..

أوقفت تيار تفكيرها..

ونظرت إلى محمود نظرة مغايرة ولم تقل شيئا...

كان بودّها إن تقول له:

-من تظن نفسك؟..

فيلسوف العصر؟..

ستكون دراستك مجرد نظريات...  
يجب أن تعيش مثل هذه الأجواء اللذيذة حتى تكتب عنها بصدق  
وموضوعية...

وودت لو ثارت عليه أكثر...  
لأنه عكّر عليها صفو مرحها ونشوتها...  
وذكرها بدون أن يقصد بفشلها في دراستها...  
ذكرها بعتاب أبيها وتوبيخها لها على سوء سلوكها...  
تذكرت لك ذلك وهي تنظر إليه يتكلم كلاما ينفذ في القلب كالسهم  
القاتل...

فتمنت لو ألما تقدر على تلقينه درسا لن ينساه أبدا...  
وكان الشاب فهم ما يدور بخاطرها...  
فقرر ان يواصل معها الحوار إثرآء للتجربة...  
<http://ArchiVchiba.Qskrt.com>

ابتسم لها وقال:

- يبدو لي أن وموضوع الدراسة قد أعجبك...

أليس كذلك؟...

- طبعاً ... طبعاً...

- إذن... ستساعدني كثيرا على جمع بعض المعطيات.

ألقت عليه نظرة باردة وقالت كأنها تسخر منه:

- ومن أين لي أن آتي لك بهذه الـ .... ماذا قلت؟

- المعطيات... يعني حقائق... معلومات...

سكتت نادية ونكست رأسها برهة ثم رفعته قائلة :

- آه ... طبعاً... طبعاً...

فابتسم ابتسامة الواصل وقال: مرسى!...

لم يعرف هو أيضاً لماذا أحسّ بنوع من الفرح يسرّبل قلبه عندما وافقت على طلبه...

ولا كيف ورّطها في مشروعه...

فطفق يتحاور معها في كلّ القضايا المطروحة...

فيتناقشان ويلاحظان ويستنتجان...

من الغد...

أسرعت نادبة إلى علبة الرّول قبل الموعد المعتاد. حتى تتمكن من تعويض

ما فاتها من الرقص والضحك والمرح... قبل قدوم محمود...

او كما كانت تقول أحياناً:

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- قبل قدوم موسم الفحط الجميل...

كانت ترقص في غبطة وجنون وتضحك كثيراً... كما لو اكتشفت

أشياء عزيزة عليها... حرمت منها مدة طويلة... إلى أن أحسّت

بالإرهاق...

فانهارت كما لو كانت وسط دوامة من ضياع...

وأجهشت بالبكاء...

عندما فتحت عينيها على وجوه أصدقائها المخيطين بها...

لم تعرف كيف انتفضت واقفة تنظر بعينين زائغتين إلى إحدى زوايا

المرقص تبحث عن شعاع...

وكما لو كان شيطان يطاردها...

ودون اعتذار من أحد...  
 خرجت من الملهى عساها تعثر على من غير اتجاه حياتها ودعاها إلى  
 اتباع المنعرج الوردي...  
 ولحد الآن لم تفهم (شلة) نادية وأصدقائها في عاب الليل الحمراء...  
 أي ربح مسافرة... طارت بصديقتهم التي كانت زينة سهراتهم  
 الراقصة؟! .

### في مشروعية الصلة بين "المقدمة" ودلالات المجتمع المدني

من غير المتاح لنا وفق الاتفاق والتوافق المنهجي في تغير تشريعاته  
 النقدية القائمة على مدارات التنوع والاختلاف في غالبية الأنسجة الثقافية  
 والعائلات اللغوية والممارسات التاريخية أن نذكر الحاجة إلى التفكيك المبني  
 على مجاوزة أطوار الترتيب والتوصيف لمتاريس المتون والحواشي بما أنعم  
 المكتبات المتكئة على الحاجة إلى بحث علامات الحيوية في خارطتنا التراثية  
 والتوسل بسجلات كلامية في حال اضطرارنا للذود عن عقلانيتها  
 وعمدونات الفقهاء في السعي إلى التدليل على مشروعيات الاختلاف  
 والتنوع المذهبي. وقياسا على ذلك في مجالات من غير المتيسر حصرها  
 سوى بالنظر إلى تيريراتها الجائز لنا تحديدها بما يلي:

- 1- وهم الشفقة على التراث من التلف.
- 2- الفرع من توربة الآخرين ومنهم المستشرقون لحقيقة سبق أعلام  
 حضارتنا في سباقات تخصصهم.
- 3- الحنو العاطفي والوجداني على روافد التراث إلى الحد الترقمي في  
 مقامات الوله. فشغلنا هذه الصلة به عن فلوله ومقتضيات الحوصلة  
 والنقد.